مع الفائز بجائزة نوبل في الأدب عام 2003

الرواية في إفريقيا

تأليف: ج. م. كويتزي

تقديم وترجمة: حسين عيد



الدار المصرية اللبنانية

الرواية في إفريقيا

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت تليفون: 3910250- فاكس: 3909618

ـ ص.ب 2022 ـ برقيا دار شادو ـ القاهرة

E-mail:info@almasriah.com

www.almasriah.com

تجهيزات فنية: الإســراء ت: 3143632

طبع: آمـــون ت: 7944356 - 7944517

رقم الإيداع: 5838 / 2004

الترقيم الدولى: 8 - 841 - 270 - 977

الطبعة الأولى: صفر 1425هـ مارس 2004 م

مع الفائز بجائزة نوبل في الأدب عام ٢٠٠٣ :

الرواية فى إفريقيا

تأليف : ج م كويتزى

تقديم وترجمة : حسين عيد

الدار المصرية اللبنانية



المحتويات

*تقديم ٩

(١) الكاتب وأعماله :

● تعريف ٩

● رواية " في انتظار البرابرة " ١١

● رواية " حياة وزمن ما يكل. ك " ١٦

● رواية "خزي " ٢٨

● حوار نادر مع ج. م. كويتزى
حول رواية " خزي " ٣٥

(٢) "الرواية فى إفريقيا" : نص جديد ، وكتابة أصيلة ٤٣

١- * " الرواية في إفريقيا " : ج م كويتزى ... ٤٥

هامشان ٧٥

كتب للمترجم ٧٧

تقديم

تعريف بالكاتب :

فاز الروائى جون ماكسويل كويـــتزى بجائزة نوبـــل فى الآداب عام ٢٠٠٣ ، فكـــان ذلـــك أجمل تتويج لرحلة أدبية تجاوزت الربع قرن من الزمان ، امتلأت بفيض متميز من الإنتاج .

هو من مواليد عام ١٩٤٠ ، فى مدينة كيب تاون فى جنوب إفريقيا . أرســـله والـــداه إلى مدرسة إنجليزية ، فنشأ يستخدم اللغة الإنجليزية كلغة أولى . ســـافر أولاً فى عـــام ١٩٦٠ إلى إنجلترا، حيث عمل كمعد برامج كمبيوتـــر . ثم ســـافر إلى جامعـــة تكساس بأوستن بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث أنهى رسالة الدكتوراه فى الأدب حول بيكيت ، فى عام ١٩٦٩. عمل بعد ذلك كأستاذ زائر لتدريس اللغة الإنجليزية والأدب فى هارفـــارد ، جون هوبكتر ، جامعة شيكاغو ، جامعة نيويورك حتى عام ١٩٨٣ .عين فى العام التالى أستاذا للأدب فى جامعة كيب تاون .

بـــدأ كويتزى ينشر أعماله بدءًا من عام ١٩٧٤ فى الولايات المتحدة الأمـــريكية ، حيث صدر أول كتاب له بعنوان " أرض منعزلة " ويتكون مـــن روايـــتين قصيرتين، هما : " مشروع فيتنام " ، و" الراوى جاكوب

كويتـــزى " . وكانت روايته الثالثة" فى قلب الوطن " . وفى عام ١٩٨،
نشر روايته " فى انتظار البرابرة " ، التى حققت له شهرة عالمية. ثم توالت
رواياتـــه : " حياة وأزمنة ما يكل ك " (١٩٨٣) ، التى نال عنها جائزة
البوكـــر ، " عـــدو " (١٩٨٦) ،"عصر الأغلال "(١٩٩٠) ، "سيد
بتســـبرج " (١٩٩٤) ، " خزى " ،(١٩٩٩) ، التى نال عنها جائزة
البوكـــر للمـــرة الثانـــية ، فكان أول كاتب يحصل عليها مرتين ،"حياة
الحيوانات " (١٩٩٩) ، و " اليزابيث كوستلو " (٢٠٠٣) .

كمـــا صـــدر لكويتـــزى عدد من الكتب السياسية والنقدية، منها :
"كتابة بيضاء : فى الثقافة الأدبية لجنوب إفريقيا " (١٩٨٨) ، " تصريح
هجوم : مقالات عن الأسلاف " (١٩٩٦)، " ما الواقعية ؟ " (١٩٩٧)،
"شـــواطـــئ غريبة : مقالات أدبية " (٢٠٠١) . وله كتابا مذكرات،
هما: " طفولة : مشاهد من حيـــاة محليـــة " (١٩٩٧) ، " شـــباب "
(٢٠٠٢) .

أمـــا حكاية نص " الرواية فى إفريقيا " ، فترجع إلى دعوة تلقاهاج م
كويتـــزى مـــن مركز ألدوبرين ب. تاونسند للعلوم الإنسانية، فى جامعة
بيركلى، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ليكون المحاضر التاسع والعشرين
فى قائمة محاضرى دورة" آنا " لعام ١٩٩٨ . كانت دورة محاضرات "آنا"
تمول من هبة قدمها إدوارد هنتر روس عام ١٩٧١ فى ذكرى زوجته "آنا"
(بكالوريوس فنون ١٩١١ ، ماجستير فنون ١٩١٣) ، كى ينظم مركز
تاونســـند دورة محاضـــرات سنوية باسمها ، يستضاف فيها محاضرون من
مخـــتلف أنحـــاء العـــالم ؛ من أجل تقوية بحث وتعليم العلوم الإنسانية،
ومايرتبط بها من علوم اجتماعية . وقد سلم كويتزى أوراق نصه فى ١١

نوفمبر١٩٩٨ ، وسمح لهم بنشرها ، فصدرت ضمن "مطبوعات موسمية" لمركز تاونسند عام ١٩٩٨ .

رواية " فى انتظار البرابرة " :

تجـــرى أحـــداث الرواية على تخوم إمبراطورية (خيالية) ، لم يحدد مكانهـــا ، وان أقامها الغرب دافعًا بشعبها من (البرابرة) — وهو مسمى غـــربى ، يعـــنى الهمج غير المتمدينـــين — إلى الجبـــال ، خـــلال فـــترة انتشرت فيها حكايات وصلت من العاصمة ، عن حالة قلق بين البرابرة ، بـــدأت فـــيها طرق التجارة الآمنة تتعرض للهجوم والسلب ، وتزايدت معدلات سرقات المؤن . كما سرت شائعات أن القبائل البربرية تتسلح ، وأن علـــى الإمـــبراطورية أن تتخذ إجراءات احتياطية ، لأن الحرب لابد قائمة !

يـــروى الرواية بضمير المتكلم ، راو(غير محدد) الاسم ، وإن توارى كويتزى وراءه فى أوقات كثيرة. وهو يعرف نفسه ، بقوله " **أنا قاض فى الـــريف . وموظـــف مسؤول فى خدمة الإمبراطورية.. أمضى أيامى فى هـــذه الحـــدود الكسولة.. أنتظر تقاعدي.. أجمع الضرائب والرسوم وأديـــر الأراضى المشاع ، وأتأكد من تجهيزات الحامية ، وأشرف على الضـــباط الصـــغار ، وهم الضباط الوحيدون الموجودون هنا.. أراقب حركة التجارة، وأترأس جلسات المحكمة مرتين فى الأسبوع، وما تبقى مـــن الوقت أرقب فيه شروق الشمس وغروبها.. آكل وأشرب وكلى رضا . وعندما أموت آمل أن أستحق ثلاثة سطور مطبوعة فى صفيحة الإمبريال .. لم أطلب أكثر من حياة هادئة فى أوقات هادئة** "

هــذا القاضــى هو الشخصية (المحورية) فى الرواية ، فهى العين التى ترى ، واللسان الذى يعقب ، والعقل الذى يحلل ، ولعل اختياره كعضو من (داخل) النظام الحاكم كان موفقًا؛ لأنه وضع يتيح له رؤية ما يجرى بأكبر قدر من الحقيقة!

وإذا كــان (حلمــه) هــو مجرد أن يعيش حياة(هادئة)على تخوم الإمــبراطورية ، فــإن الأحــداث قــد أجبرته على الدخول فى حمأتها ، والانصهار فى أتونها ، ليقوم(برحلة) خاصة إلى عالم البرابرة (المجهول)، مــرتين : الأولى(داخلــية) سرية ، والثانية (خارجية) معلنة ، ليقع فى المحظور ويحق عليه العقاب !

البناء بالتقابل :

يعتمد (بناء) الرواية على (التقابل) ، بدءًا من مفتتح الرواية ، حين يبــزغ الكولونــيل جول ، أحد رموز قمع النظام ، والوجه (المقابل) للقاضى ، وهو يرتدى نظارة (كقناع) يحجب عينيه عن الآخرين ، وهو أحــد رجال المكتب الثالث ، الذى اكتشف القاضى (حقيقته) بعد أن وقع فى قبضته ، حين أوضح أن المكتب الثالث " **يعنى خمس سنوات من ضــرب الناس ورفسها ، والاحتقار للبوليس النظامى ، وبالتالى لعملية القانــون نفســها ، والكراهية لأى حديث نبيل** ". كما أن جول يبرز (جوهــر) فكره عند التحقيق مع عجوز وابن أخته الصغير ، اللذين جرى اختطافهما إثر غارة على بعد عشرين ميلاً، كانا على مقربة منها ، ورغم أن العجــوز أوضح منذ البداية أنهما لاعلاقة لهما بالغارة ؛ لأنهما كانا فى طــريقهما لــرؤية الطبيب ، لأن الولد لديه دمل لا يتحسن . ورغم أنه

كشف عن موضع الدمل عند الغلام ، إلا أن جول استمر فى استجوابه ، وحين حاول القاضى أن يتدخل ، أوضح له جول جوهر أو منطق عمله، قائلاً " لا ، إنك تسيئ فهمى . إننى أتحدث عن حالة خاصة هنا.. إننى أتحـــدث عـــن حالة أبحث فيها عن الحقيقة ، عن حالة يجب أن أمارس الضغط فيها ، حتى أصل إلى الحقيقة . فى البداية أحصل على الكذب . وكمـــا تعلم هذا يحدث عادة، ففى البداية كذب، ثم ضغط ، ثم كذب أكثـــر ، ثم ضغط أكبر ، ثم الانهيار ، ثم ضغط أكبر، ثم الحقيقة . وهذه هى الطريقة الناجعة للحصول على الحقيقة".

وكنتـــيجة طبيعـــية لهـــذا الفكـــر، انتهى الأمر بمصرع العجوز أثناء الـــتعذيب، بيـــنما القاضى يراقب من بعيد محاولاً أن يغض الطرف عما يرى!

ثم تكـــرر الأمر ، حين انطلق الكولونيل جول فى حملة، قبض خلالها علـــى عدد من البرابرة ، عرف القاضى بمجرد رؤيتهم أنهم مجرد صيادى سمـــك . لكن جول استمر سادرًا فى تعذيبه لهم ، حتى انتهى الأمر بموت طفـــل صغير، بين يدى أمه المعتقلة ، ومصرع عجوز هو والد فتاة تكاد تكـــون عمـــياء بسبب تعذيبها . ثم أفرج عن الجميع ، ورجع جول إلى العاصمة ، ليقدم تقريره حول خطورة الوضع هناك!

رأى القاضـــى الفـــتاة العمياء تتسول ، فأخذها إلى بيته، كمن يقوم بعملـــية(تكفـــير) عمـــا حدث لها ولفئة من قومها ، وبدأ معها رحلة (داخلية) سرية فى غرفة ببيته ، كان يقوم خلالها بطقوس تنظيف كاملة لها بـــدءًا مـــن أخمـــص قدميها حتى ذرا شعرها ، فاركًا أولاً ماعلق بها من

قـــاذورات . لكنه لم يستطع أن يمارس الجنس أبدًا معها ، رغم أنها كانت مستســـلمة تمامًـــا لأفعاله .كان هناك شيء مستعص فيها ، فراح يواسى نفســـه ، مفكرا أنه " **كلما كبر الإنسان وجد الناس تصرفاته غريبة ، مثل تشنجات حيوان يحتضر** " .

هكـــذا سقط تدريجيًّا فى عبودية طقوس تزييت جسم الفتاة وتفريكه والدوخـــة والسقوط فى النسيان ، وحين تنبه إلى ما يحدث ، توقف عن استيعاب المتعة التى كان يجدها فى جسمها البارد ، وبدأ يثور على نفسه !

مرحلة تحول :

كانـــت شخصية القاضى تتحول تدريجيا دون أن يدرى . وانظر إلى الـــتحول الـــذى حـــدث له عند تغيير مفرزة جنود، أتموا مدة تجنيدهم بمجمـــوعة جديـــدة، جاءت تحت قيادة قائد شاب ، كان قد سمع بعض حكايات عن العجوز ، فأراد أن يتحسس أفكاره ، حين سأله " **ما الذى يســـتفز مشاعر البرابرة ؟**". كان المفروض أن يتنبه العجوز للفخ ، وأن يكون حذرًا ، ويتملص من الإجابة الصريحة المباشرة ، ولكنه وجد نفسه مـــندفعًا إلى الهجـــوم ، أنهـــم " **يريدون نهاية لانتشار المستوطنات عبر أراضيهم، ويريدون استعادة أراضيهم . وأخيرًا ، يريدون التنقل بحرية تامـــة مع قطعانهم من مرعى إلى مرعى، كما كانوا من قبل** " ، وكأننا إزاء نموذج آخر من (فلسطين) المحتلة . وسرعان ما بلغت ثورة القاضى ذروتها ، وهو يقول متهورًا " **أرغب بصدق فى أن ينهض أولئك البرابرة ، ويلقونـــنا درسًـــا ، حتى نتعلم أن نحترمهم** " . ثم ، وكمن يستقرئ

الغـــيب، يســـتطرد قائلاً: **إنهم لا يشكون أنه فى يوم ما سنحزم عرباتنا ونرحل من حيث أتينا** " .

وبعـــد رحيل الضابط والجنود ، كتب رسالة إلى حاكم المقاطعة بأنه ســـيقوم بزيارة إلى البرابرة ، حتى يصلح ما أفسده المكتب الثالث . كان الأوان عندئذ قد حان ، ليقوم برحلة (خارجية) معلنة ، يعيد فيها الفتاة إلى أهلـــها ، كمـــن يحررها، مصطحبا معه جنديين ومرشدًا للرحلة بين الجبال .

وكانـــت رحلـــة ذاقوا فيها أهوالاً لاحصر لها ، حتى تمكن أخيرًا من مقابلـــة بعـــض من ثوار البرابرة ، وخير الفتاة بين أن تذهب معهم أو أن تعود معه ، ففضلت الرحيل ، رغم أنه كان فى قرارة نفسه يتمنى أن تعود معه، وقد لازمته تلك الأمنية زمنًا طويلاً بعد ذلك !

وحـــين رجـــع إلى الحصن وجد رجال الجيش هناك ، فاعتقلوه بتهمة الاتصـــال بالبرابرة لتحذيرهم، قبل أن يشن الجيش هجومه عليهم ، فعانى فى المعـــتقل المعانـــاة (نفســـها) التى سبق أن عاناها البرابرة ، وحقق معه الكـــابتن ماندل(وهو شخص آخر موازٍ للكولونيل جول) ، فأذاقه مر العذاب ! ثم قام الجيش بحملته ، التى استمرت ثلاثة أشهر ، عاد فى أعقابها حســـيرًا مهـــزومًا ، يجر أذيال الخيبة . وقد (فسر) أحد الجنود انتصار البرابرة بأنهم استدرجوا الجيش إلى الأعماق ، وقادوا الجنود إلى الصحراء، وأن الجـــيش تتـــبعهم بغباء ، ولكن البرابرة لم يواجهوهم ، بل اختفوا ، تاركين إياهم ضائعين فى الخلاء.

وحين استقرت الأوضاع ثانية ، عاد القاضى إلى عمله القديم ، لتختتم الرواية (بحلم) ظل يراوده على مدار الرواية، وهو يتحول إلى (حقيقة) حين رأى أطفالاً يلعبون فى الثلج ، " **تركتهم ، وأنا أحس بالغباء ، مثل رجـــل ضل طريقه منذ وقت طويل ، ولكنه يصر على المضى فى طريق ربما تؤدى إلى لا مكان** " !

رواية " حياة وزمن ما يكل. ك " :

هـــى (أحـــدث) ما ترجم من أعمال الكاتب الجنوب إفريقى ج م كويتزى ، منذ إعلان فوزه بجائزة نوبل فى الأدب عام ٢٠٠٣ . صدرت رواية " حياة وزمن مايكل. ك " عن سلسلة " روايات الهلال " بالقاهرة، عدد ديسمبر ٢٠٠٣ ، من ترجمة محمد يونس .

يعتـــبر "مايكل. ك" ، الشخصية المحورية فى الرواية (رمزًا) للمواطن العـــادى (الصغير) ، الذى يحاول أن يجد له (ملاذًا) خاصًا ، رغم أنه يمـــثل مجرد عدد من بين آلاف المواطنين ، الذين يحاول(نظام) دولة أن يحتويهم تحت مظلته الواسعة ، وهو سادر فى تحقيق أغراضه النفعية !

ملامح شخصية :

يســـرد راو خارجى ، بضمير الغائب ، خلال الصفحتين الأوليين من الرواية ، أهم (ملامح) شخصية "ما يكل. ك".. تلك الشخصية المحورية فى الرواية؛ فإذا هو مولود مشوه بعيب خلقى ، " **له شفة أرنبية مشقوقة، كانت الشفة ملتوية مثل رجل الحلزون** "، وهو ابن أم فقيرة ، من الطبقة الدنـــيا المعدمة ، حتى أنه بعد عام كان " **يجلس على بطانية ، يراقب أمه وهى تنظف بلاط الآخرين** " .

ونتيجة لتكوينه المشوه وفقره ، نفر منه الآخرون ، " وتعلم أن يلتزم الصمت " . كما عهدت به أمه إلى ملجأ للأيتام، هو مؤسسة هويس نورينيون فى فاورى ، ليقضى فيه طفولته، فى صحبة أطفال تعساء مبتلين بمختلف أنواع العاهات ، وتعلم فى ذلك الملجأ " **مبادئ القراءة والحساب، والكنس والتنظيف بالفرشاة وترتيب الأسرة وصنع السلال وأشغال الخشب، وغير ذلك من الأعمال** " . وعندما أنهى فترته فى الملجأ " **تخرج فى الخامسة عشر، والتحق بقسم الحدائق فى بلدية كيب تاون بستانيًّا** " . **وبعد ثلاث سنوات** - كما يخبرنا الراوى - **ترك العمل ليقضى فترة تعطل** " نائمًا فى سريره يتأمل يديه " . ثم عمل فى وظيفة مراقب مراحيض ، حتى هاجمه رجلان عند عودته متأخرًا وضرباه وسرقاه، فترك العمل فى الليل ، وعاد إلى العمل بستانيًّا مرة أخرى . وبسبب من تشوهه، لم تكن له أى علاقة مع الجنس الآخر .

رحلة إلى الجذور :

ينقلنا الراوى مباشرة ، بعد أن قدم أهم ملامح شخصية "مايكل. ك"، إلى زمن الرواية الفعلي، فإذا مايكل فى الواحدة والثلاثين من عمره،ومازال يعمل بستانيًّا ، وإذا برسالة تصله فى يوم من شهر يونيو من أمه، تبلغه فيها أنها خرجت من المستشفى ، وتطلب منه أن يحضر ليعيدها إلى حجرتها الضيقة، تحت سلم كوت دازور ، والتى لم يكن بها منافذ تهوية أو كهرباء، وسمحت لها الأسرة التى تعمل لديها خادمة بأن تقيم فيها، وقام ما يكل على خدمتها . وعلى الرغم مما كان يشعر به من ضيق نتيجة التقارب الجسدى بينهما طوال تلك الأمسيات، فإنه " **لم يشعر على الإطلاق فيما اعتبره واجبًا عليه . ووجد إجابة عن سؤال، طالما**

ألح عليه فى هويس نورينيون، وهو: لماذا أتى إلى هذه الدنيا .. وكانت الإجابة لقد جاء إلى هذه الدنيا ليعتنى بوالدته "

لقـــد أمضى "مايكل" فترة طفولته وصباه فى ملجأ للأيتام ، ضائعًا ، تائهًـــا ، محاصرًا بأسئلة لايجد لها إجابة ، بعد أن استغلقت عليه الأمور. وحين استدعته أمه بعد سنوات طوال من الفراق،وجد فى العناية بها معنى لحـــياته وهـــدفًا لوجوده . ثم اندلعت الحرب ، واستشرت فترات حظر الـــتجول ، وبـــدأ الاســـتغناء عن بعض العاملين ، وبسبب من مرضها وإحساســـها باقتراب منيتها ، فكرت الأم فى العودة إلى (الريف) حيث عاشـــت صـــباها فى مـــنطقة بـــرنس آلبرت . كانت تخشى أن يعترض "مايكـــل"، ولكنه قبل دون تردد ، متعشمًا أن يتضح له الآن (السبب) فى أن أمه تركته فى الملجأ خلال طفولته .

ورغـــم أنهـــا كانت قد وفرت مالاً للسفر ومتطلبات الإقامة ، إلا أن الأمـــر كان يتوقف على حصولهما على تصريح للانتقال والسفر بسبب ظـــروف الحـــرب. كانت الإجراءات عقيمة والانتظار طويلاً لاينتهى ، ففكـــر ما يكل " **ربما كان من الأفضل عدم الاعتماد على الآخرين** " ، وحملها فى عربة من ابتكاره، ومضى بها فى ظروف صعبة ، وحين اشتد بها المـــرض جنح بها إلى مستشفى ، ماتت فيها،وأحرقوا جسدها ، وأعطوه الـــرماد فى صـــندوق ، فمضى هائمًا على وجهه ، " **ونظرا لأنه لم يكن لديه شيء يفعله، كان ينام لساعات أطول على نحو مطرد . واكتشف أن بإمكانـــه أن يـــنام فى أى مكان وفى أى وقت، وفى أى وضع على جانب الرصيف عند الظهر ، والناس يتخطون جسمه أثناء سيرهم ، أو يـــنام مستندا إلى حائط والحقيبة بين رجليه . كان النوم قد عشش فى**

دماغه مثل الضباب، فلم تكن لديه أى رغبة فى مقاومة ذلك ، ولم يكن يحلم بأى شيء أو أى شخص "

وصـــل "مايكل" فى النهاية إلى منطقة برنس آلبرت ، وعثر بعد جهد على مزرعة آل فيساجى ، التى نشأت فيها أمه ، وشرع فى تنظيف رقعة مـــن الأرض تبلغ مساحتها عدة أمتار مربعة فى وسط الحقل ، وانحنى حتى لا يتناثـــر رماد أمه مع الريح ، ثم وزع الرماد فى طبقات رقيقة ، ثم ألقى علـــيه جاروفًـــا وراء جاروف، وكانت هذه بداية حياته كمزارع ، أو عودته إلى طبيعته كبستانى ، ووجد حبوب يقطين وذرة ، فطهَّر الأرض ، وأعد قنوات الرى ، وزرع قطعة أرض يقطينًا وأخرى ذرة ، وثالثة قرب النهـــر بالفاصوليا ،" **كان يعيش مغ شروق الشمس و غروبها فى جيب خـــارج الزمن . وبدأت كيب تاون الحرب ورحلته الشاقة إلى المزرعة تخفت فى ذاكرته رويدًا رويدًا "**

مع الآخرين:

إذا شـــئنا أن نـــتفهم مرتكز شخصية "مايكل. ك" ، فلعله يكمن فى نشـــأته (ملفوظًا) مِن الآخرين ، بحكم تشوهه وفقره بما يقف حائلاً أمام إقامـــة علاقـــات ســـوية مع الآخرين ، بدءًا من أمه ، التى لم يفهم أبدًا الأسباب التى دعتها إلى أن ترمى به خلال سنوات يفاعته الأولى فى ملجأ للأيـــتام ، ولكنها حين دعته لم يتردد فى تلبية ندائها ، معتبرًا الاهتمام بها (مـــبررًا) لوجوده ، وحين ماتت خلال رحلتها إلى أرض النشأة الأولى ، أكمل رحلته ودفن رماد جثمانها فى الأرض، التى طالما حنت إليها .

فى ملجـــأ الطفـــولة أيضًا (أجبر) على الانصياع إلى التعليمات ، التى كـــان أولها" **التزام الصمت فى العنبر فى كافة الأوقات** " ، ولكنه جعل مـــن فترات العقاب بأن يضع يديه فوق رأسه ، فرصة للانتقال (بحرية) إلى عالم الخيال ، وتأمل فى الملكوت من حوله .

وحـــين هجـــر عمله كجناينى ، والتحق بعمل مراقب للمراحيض ، تعـــرض فى إحدى نوبات عمله للعدوان والسرقة من رجلين ، فلاذ ثانية بعمله الأول الذى كان يمارسه نهارًا بعيدًا عن الخطر .

وحـــين كانـــت أمـــه فى المستشفى، التقى برجل أعطاه نقودًا لشراء فطيرتـــين لهما ، ثم حكى له عن أخته المريضة ، و" كان "مايكل" يصغى إلى أصوات الطيور ويرنو إلى الأشجار ويجتهد ليتذكرالوقت، الذى شعر فـــيه بالسعادة مثلما يشعر الآن" . كانت تلك علاقة تواصل إنسانى، لم يسبق له أن عاشها من قبل !

وأثـــناء رحلته مع أمه ، اعترض طريقهما رجلان (فعل مواز لحدث ســـابق) حاولا سرقة مامعه بالإكراه ، فلم يقبل فى حضرة أمه أن يعتديا عليه ، وهددهما بعمود العربة الحديدى ؛ مما اضطرهما للهرب !

وحين عاش فى مزرعة فيساجى،ظهر حفيد الأسرة الشاب الهارب من الجيش ، وحاول أن يجعل منه (خادمًا) ، حين أعطاه نقودًا لشراء بضائع مـــن المديـــنة ، فدفن النقود ، وهام على وجهه ، حتى عثر عليه الجنود ، وأدخلـــوه معســـكر جاكالسدريف للإيواء، حيث يوفرون لأمثاله مكانًا للإقامـــة، ولكـــن عليه أن يعمل حتى يأكل . تعرف هناك على روبرت، الـــذى كان يعول زوجته وأطفاله الأربعة بالإضافة إلى أسرة أخته ، وهو

الــذى أوضــح له السبب الحقيقى فى وجود المعسكر ،حين قال " **إنهم يــرغبون فى الحيلولة دون اختفاء الناس فى الجبال، ثم يعودون فى الليل لــيقطعوا أسوارهم وينهبوا مخازنهم** " . وكان "مايكل" يعطى نصف ما يحصل عليه من أجر لروبرت تعاطفًا مع ظروفه ، ويحتفظ بالنصف المتبقى.

إذا مــا أردنا أن نفهم تلك العلاقات ، فيجب أن نراعى أن "مايكل" نشــأ أساسًا (معزولاً) فى ملجأ للأيتام ، بعيدًا عن حنان الأم والأب ، بعــيدا عــن كــنف المجتمع الكبير ، أقرب ما يكون إلى نبت نائى ينشد الصمت والسكون والدعة، وأن يتركوه فى حاله، ولكنه كان يقترب من دفء البشر الذى يفتقده ، كلما أتيحت له الفرصة ، مثلما حدث مع أمه وهــو فى الحادية والثلاثين ، ومع رفيق المستشفى فى لحظة عابرة ، ثم مع روبــرت فى معســكر الإيواء . ولكنه لم يستطع أن يصبر على الحياة فى المعســكر ؛ لأنهــا تذكــره بمأوى الطفولة القديم ، كما تذكره الأسوار بالحجر على حريته ، وهو مادفعه إلى الهرب ، والعودة ثانية إلى مزرعة آل فيساجى ، ولكنه احتاط هذه المرة ، حين بنى له (مأوى) سريًّا خاصًّا ، وراح يمــارس الزراعة ، ويتتبع نمو القرع العسلى ، " **وبمرور الأيام، نما لديــه الأمل بأنها سوف تنضج جميعًا، وكان يستيقظ بالنهار، وينظر إلى الحقــل مليًّا وتحت الحشائش ، كانت هنا ثمرة وأخرى هناك تتلألأ أمام ناظريه**"، وتمنى أن يعيش هناك بقية عمره !

لكــن مــع نهايــة الصيف تأصل لديه حب الكسل ، وراح يستسلم للــوقت ، الذى كان ينسل ببطء دافعًا إياه للأمام فى خضم تدفقه . و لم يعد يشعر بالجوع ، وبدأ يفقد إحساسه بالزمن ، وكان فى بعض الأحيان حين يستيقظ، لم يكن يدرى إن كان قد نام يومًا أو أسبوعًا أو شهرا !

واكتشف الجنود وجوده ، وعرفوا بأمر هروبه من معسكر كالسدريف للإيواء ، وألحقوه بمشفى أقيم على حلبة سباق.. فقد أصبح هيكلاً عظميًّا . ورغم أنه وجد فى المشفى متعاطفًا كبيرًا معه هو الصيدلى، إلا أنه هرب مرة أخرى إلى الحرية !

الحرب :

تعتبر الحرب أحد التيارات الممتدة بطول الرواية،والتى قد لاتبرز بشكل مباشر، ولكن أصداءها تظهر باستمرار. لم يكن ما يكل بحكم عزلته يفهم ما تعنيه الحرب ، أو أسباب قيامها . كانت تجربته محدودة ، فى تجربة العدوان عليه لسلب مامعه من نقود؛ لذلك كان منطقيًّا حين اعترضه جندى خلال رحلته ليفتشه ، أن يسأله "مايكل" " **علام تدور الحرب فى اعتقادك . . هل تدور لسلب أموال الآخرين ؟** " . لم يستوعب الجندى (براءة) تفكير مايكل ، بل ربما ظنه يسخر منه، لذلك رد محاكيا طريقته فى الكلام " **علام تدور الحرب .. أنت لص يمكنك أن تنام فى الغابة، وتقف عليك أسراب الذباب .. فلا تحدثنى عن الحرب** ".

كما ورد ذكر الحرب ثانية فى حديث حفيد آل فيساجى ، الهارب من الجيش ، خلال حواره مع مايكل ، حين قال " **أنا أتحدث إليك حديث إنسان لإنسان، هناك حرب وأناس يموتون ، وأنا لست فى حرب مع أحد. لقد صنعت سلامًا لنفسى ، هل تفهمنى ؟ أنا أسالم الجميع وليست هناك حرب هنا فى المزرعة . ونستطيع أنا وأنت أن نحيا فى سلام إلى أن يتحقق السلام للجميع ، لن يعكر أحد علينا صفونا، فلسوف يأتى السلام ذات يوم** ".

وتكـــررت الـــنغمة ذاتها خلال حواره مع حارس معسكر السدريف للإيـــواء ، الذى قال له: " **هناك أمر أود أن أقوله لك ياصديقى ، وما أقوله لك هو الصدق ، إذا أتى يوم، وطلبوا منى أن أذهب إلى الشمال لن ألبى طلبهم، ولن يروين مرة أخرى . إن هذه الحرب ليست حربى ، وهى حربهم وعليهم أن يخوضوها** ".

وفى مشـــفى حلـــبة السباق ، أرادوا أن يحققوا معه ، حتى يعترف بما يعـــرفه عـــن حـــركة المقاومـــة فى منطقة برنس آلبرت.. كان الصيدلي (المـــتعاطف معه) يحفزه على الاعتراف" **هيا يا "مايكل".. لا يتعين علينا الانتظار طوال النهار .. هناك حرب دائرة.**".

تكلم مايكل، فى النهاية ، قائلا: " **لست فى حرب** ".

فثار عليه الرجل ثورة عارمة مهددا بنقله إلى أسوأ معسكر ممكن !

ويبقـــى هـــناك موقف (فاصل) حين زار مزرعة آل فيساجى ، التى كـــان يعيش فيها ، أحد عشر مقاتلاً من رجال المقاومة ، ففكر أولاً فى الالتحاق بهم ، ثم تراجع ، وحين حاول أن يجد تفسيرًا لما حدث ، أدرك " **أن كثيرًا من الناس ذهبوا، وقالوا إن وقت فلاحة الأرض سوف يحين بعـــد الحرب، فى حين أنه كان من الضرورى أن يكون هناك رجال فى الحدائـــق؛ لكـــى تظل على قيد الحياة أو حتى ليبقوا على فكرة زراعة الحدائـــق، لأنه ما أن تنقطع صلتهم بها.. فإنها سوف تتحول إلى أرض جرداء وتنسى أبناءها . وهذا هو السبب** ".

لكنه كان يدرك ، فى الوقت ذاته، أنه " **بين هذا السبب وحقيقة أنه لـــن يعلن عن نفسه .. كانت هناك ثغرة أوسع من المسافة التى تفصله**

عن المكان الذى يوقدون فيه النار . وعندما كان يحاول أن يفسر نفسه لنفســه، كانت هناك على الدوام ثغرة أو هوة أو نوع ما من العتمة، يحــول بيــنه وبــين الفهــم، ويكــون من غير المجدى فيها أن تتدفق الكلمــات.. فالكلمــات تضيع فيها وتظل الثغرة كما هى. إنها على الدوام قصة حافلة بالثغرات، قصة مضطربة وغير متماسكة ..مضطربة على الدوام ".

أمــا تفســير عدم انضمامه إلى المقاومة ، فقد يرجع أساسًا إلى طبيعة تكويــنه وظــروف نشأته.. لقد عاش حياته (بمعزل) عن هذا المجتمع الكــبير، الــذى لم يهتم به يوما ، ولم يسمح لوجوده الحقيقى بأن يبزغ ويــنمو.. لقد عاش حياته على هامش هذا المجتمع الكبير ، متمتعًا بحرية خاصــة (محدودة) ، لذلك لن يكون أبدًا طرفًا فى حرب لايفهم أساسًا مــبررات قــيامها . ولعل فى موقفى حفيد آل فيساجى وحارس معسكر الإيــواء الرافضين للحرب ، ما يعطى سندًا لموقفه؛ لأنهما من (داخل) النظام بينما هو من خارجه !

بناء الرواية :

تتجلى فى الرواية أصداء عالم فرانز كافكا ، بدءًا من اسم بطل الرواية مايكل ك ، الذى يحيل مباشرة إلى بطلى روايتى" **المحاكمة** " و " **القلعة**". كما أن مدخل رواية " **حياة وزمن مايكل. ك** " ، الذى جاء فيه " **كان أول ما استرعى انتباه القابلة التى ساعدته على الخروج من رحم أمه أن مايكــل له شفة أرنبية مشقوقة ، كانت الشفة ملتوية مثل الحلزون** " ، يحــيل إلى مدخل رواية قصيرة لكافكا ، هى " **التحول** " التى ورد فيها: **"استيقظ جريجور سامسا ذات صباح بعد أحلام مزعجة ، فوجد نفسه**

قـد تحـول فى فراشـه إلى حشرة هائلة الحجم " ، حيث تحتوى كلتا الـروايتين على ملمح (تشوه) غير عادى منذ البدء ، وإن تفاوت حجم التشـوه حـين كـان جزئيًّا منذ المولد فى رواية كويتزى، وكاملاً منذ الاستيقاظ من النوم فى رواية كافكا .

كما يحيلنا "مايكل. ك" خلال رفضه لتناول الطعام فى رواية كويتزى، إلى قصـة " **فنان الجوع** " لكافكا،وبالمثل يحيلنا الجحر أو الملجأ الخاص، الـذى صنعه "مايكل. ك" فى مزرعة آل فيساجى فى رواية كويتزى إلى قصة " **الجحر** " لكافكا .

تـتكون الـرواية من ثلاثة أقسام: يعتبر القسم الأول أكبرها(١٣٣ صـفحة قطـع متوسـط)، يليه القسم الثانى (٤٢ صفحة)، ثم القسم الثالث والأخير(١٤صفحة).

يقـدم القسـم الأول راو خارجى ، يسرد بضمير (الغائب) ، يتابع "مايكل. ك" فى كل تحركاته ، بعد أن أوجزفى البداية سيرة حياته . يشيد هـذا الـراوى – فى هذا الجزء – عالمًا (خياليًّا) آسرًا ، اعتمد فيه على البناء بالتفاصيل الصغيرة ، تاركًا مساحة لخيال القارئ ، وهو يرسم لوحة واسعة بكل منمنماتها الدقيقة لعالم "مايكل. ك".

يقـدم كويتـزى القسم الثانى، كمن يتشكك فى مقدرة القارئ على الاسـتيعاب والفهم، من منظور(مقابل)، فى مشفى حلبة السباق، الذى احتجز فيه "مايكل"، من خلال راو جديد، هو شخصية صيدلى متعاطفة معه، يروى ما يحدث، كمن يفسر ما غمض من أمر "مايكل"، حين يرى تـارة أنـه قد اعتقل "**باعتباره متمردًا فى الوقت الذى لا يعلم فيه إلا القلـيل عـن الحـرب**"، و "**إنه شخص أبله جرفته الحرب إلى منطقة**

حـــرب" ، و"أنه أشبه بحجر أو حصاة كانت راقدة فى هدوء لا همَّ لها مـــنذ فجر الزمان ، والتقطتها يد لتتقاذفها الأيدى، وتنتقل من يد إلى يـــد.. حصـــاة صغيرة لا تكاد تشعر بما حولها،منطوية على نفسها ولها حـــياتها الداخلية " . كما يتساءل حوله تارة أخرى "من هو "مايكل".. ألـــيس هـــو إلا واحدًا من جمع غفير من الطبقة الثانية؟ فأر هارب من سفينة مزدحمة توشك على الغرق؟". ويتحدث عنه تارة ثالثة كأعجوبة: "ولعلـــه من الأمور المستغربة أنك على الرغم من أنك قد تمكنت من العيش ثلاثين عامًا فى المدينة ، وعامًا متشردًا فى منطقة تدور فيها حرب (إن كـــان لنا أن نصدق القصة التى رويتها)، وأمكنك أن تعيش، فإنك تعـــيش مثل بطة صغيرة مدللة ضعيفة للغاية أو قزم شائه، أو فرخ طائر خـــرج لـــتوه مـــن عشه، ليس لديك أوراق ولا مال ولا أ سرة ولا أصـــدقاء ولا تدرى من أنت، أكثر الغامضين غموضًا، غامض إلى حد يجعـــل منك أعجوبة". ثم يكتب إليه (خطابًا) يصوره فى جانب منه على أنـــه حشرة: " إنك مثل حشرة يا "مايكل".. كل ما تملكه من دفاعات ضـــد عـــالم من الذين يفترسونها هو شكلها الغريب أنت مثل حشرة هـــبطت — ويعلـــم الله كيف حدث ذلك – وسط واد حجرى قاحل وأنـــت ترفع رجلك الحشرية كل مرة، وتتحرك لمقدار بوصة بحثًا عن شـــيء تـــندمج فيه، ولا يوجد مثل هذا الشيء"، ليسبغ عليه فى نهاية الخطاب أنه الوحيد "الذى سرت وراء بصيرتك المعتوهة لتقضى زمانك منتظـــرًا فى ملجـــأ للأيتام (اعتقادًا منه بأنه مكان ليختبئ تحته) متفاديًا الحـــرب والسلام ، منسلاً إلى مكان لا يحلم أحد بأن يعثر عليك فيه ، بحـــيث يمكـــنك أن تعـــيش بأســـلوبك العتيق مسايرًا للزمن ومراقبًا

للفصــول، دون أن تحــاول تغيير التاريخ إلا بقدر ما تحاول ذلك حبة الرمل "

وبقـــدر ما ارتفع القسم الأول بالرواية إلى عالم (خيالى) سامق ، إذا بالقســـم الـــثانى يشدها (واقعيًّا) إلى أرض جنوب أفريقيا العنصرية، وما يـــدور فيها من حرب ، وهو ما بدا فى أكثر من موضع، وبشكل سافر، حـــين يحـــاور الصيدلى " نويل " القائد العسكرى للمشفى: **"قلت : هل يمكـــنك أن تذكرنى بالسبب فى أننا نخوض الحرب ؟ لقد قلت لى ذات مرة منذ فترة طويلة، ويبدو أننى نسيت .**

فقـــال نويل : نحن نخوض هده الحرب؛ حتى تكون للأقليات كلمة مسموعة فى تقرير مصيرهم "

ويختتم الصيدلى (الراوى) هذا القسم بتحويل مايكل إلى (رمز)، ثم إذا هو يحدد موقفه بدقة كفرد (منعزل) عن النظام **"إن إقامتك فى المعسكر لم تكـــن ســـوى رمز، إذا كنت تعرف معنى كلمة رمز، وسوف أهتف بأعلـــى ما لدىَّ من قوة قائلاً: لقد كنت رمزًا يوضح إلى أى مدى هو فاضـــح، والى أى مدى هو أمر باعث على الغضب أن يوجد إنسان فى نظام، دون أن يصبح طرفًا فيه"**

ويرجع كويتزى ثانية فى القسم الثالث، إلى الراوى الأول، الذى يسرد بضمير الغائب ، وهو يتابع "مايكل" فى جولة جديدة على شاطئ البحر؛ ليعيش على (إحسان) رفيق جديد تمارس أخته الجنس مع "مايكل"، لينهى الرواية برغبة (متفائلة) للعودة إلى عالم الزراعة ثانية !

رواية "خزى" :

نـــتابع فى رواية "**خزى**" التى ترجمها أسامة منزلجى، وصدرت عن دار الجـــندى بدمشق (٢٠٠٢) رؤية شديدة العمق ، جرت أحداثها على أرض (الواقع) فى جنوب إفريقيا ، بعد انتهاء حقبة النظام (العنصرى)، وعـــودة السلطة الى أبناء الوطن (السود) ، و(الثمن) الذى كان على (أحفـــاد) الفـــئة الباغية (البيض) أن يدفعوه ، حتى يتاح لهم البقاء فى (الوطن) !

بين عالمين :

تقدم الرواية التى تروى بضمير الغائب، عبر فصولها الأربعة والعشرين، (واقع) جنوب إفريقيا بعد الاستقلال ، من خلال التغلغل بين حنايا عالمين (متناظـــرين) : (مدينة) ويندسورمايخيتر، و(قرية) سالم التى تقع على طـــريق غرامستاونكنتون . فى المدينة بعض من فلول مجتمع(البيض) ، وفى القـــرية قلة من البيض وكثرة من السكان الأصليين (السود) . فى المدينة تـــوجد جامعة كيبتاون ، التى يعمل بها بطل الرواية العجوز ديفيد لرى، أســـتاذًا مساعدًا فى مادة الاتصالات فى اللغات الحديثة، ويبلغ من العمر اثـــنين وخمسين عامًا ، مطلق بعد أن تزوج مرتين، له ثلاثة كتب ، ويعد مشـــروع أوبـــرا موسيقية عن الأيام الأخيرة فى حياة بيرون ، وفى القرية تعـــيش ابنـــته لوســـى (من زوجته الأولى) وسط خمسة هكتارات من الأراضـــى الـــزراعية، التى ساعدها على شرائها ، وبناء بيت والإقامة فيه بمســـاعدة بتـــروس (الإفريقى) ، المتزوج ويعيش فى الإسطبل، بعد أن أدخلت إليه الإضاءة.

كانـــت مشكلة الأستاذ العجوز هى إشباع حياته الجنسية ، والتى وقع بســـببها فى المحظـــور حين مارس الجنس مع إحدى طالباته ، فَحُوِّل الى التحقيق بناء على شكوى منها ومن أسرتها ، وإزاء اعترافه الواضح وعدم اعـــتذاره، طـــرد مـــن الجامعة، فارتحل الى ابنته فى الريف ، حيث جرى الاعـــتداء علـــيهما واغتصاب الابنة بواسطة ثلاثة من الوطنيين السود ، ورفضت الابنة أن تبلغ الشرطة المحلية عن الاغتصاب!

والآن ، إذا نظـــرنا الى موقف الأب والابنة من الحادثتين ، سنجد أن الأب قـــد بـــرر ما حدث له بأن الجنس جزء من طبيعة البشر ، والشىء الســـيئ أن يجعل المجتمع الإنسان يكره طبيعته ، بينما كانت هى تشعر أن الـــرغبة عـــبء يمكن الاستغناء عنه . كما أرجع الأب، موقفه الى حرية التعبير وحرية التزام الصمت ، وكانت الابنة ترى أنها قد شبت عن طوق الأب وأصـــبحت لها حياتها المستقلة . وكان هو يرى أن الوقت قد حان لتواجه خياراتها بشجاعة ،وكان رأيها أنه إذا أراد أن يضع حدًّا للمتاجرة به بواسطة فضيحة الجامعة، أما كان ينبغى عليه أن يصمد ؟ أو لن تتزايد الثرثرة إذا هرب ؟!

وفى الوقت الذى كان يرى فيه أن "سر لوسى : خزيه هو " ، كانت هـــى تعتبر أن ما حدث مسألة خاصة محض ، من شأنها وحدها ، لأنها وقعت فى هذا الزمان وهذا المكان ، الذى هو إفريقيا الجنوبية، وعندما استمر فى معارضتها.. قررت أنه (لايفهم) أى شىء !

وفى حفل أقامه بتروس ، بمناسبة اكتمال إقامة بيته ، دعاهما إليه ، رأى الأب أحد الثلاثة ،الذين اعتدوا على ابنته ، وحين هاجمه دافع عنه بتروس

وأخذه تحت حمايته ، وعندما طالب ابنته بإبلاغ الشرطة رفضت مجددًا . وتفاقم الأمر بعد أن ظهر أنها حامل ، ورفضت فكرة الإجهاض . وحين عـرض بتـروس على الأب الزواج منها ، وافقت على أن تستقل فقط بمنزلهـا، وأن تكون الأرض مهرها ، حتى تنضوى تحت حمايته ، فاضطر الأب أخـيرًا أن يرضـخ ، وأن يبتعد عن طريقها، ورجع كسيرًا؛ ليعتذر أولا لـوالد الطالبة عما فعله معها . وكان فى أعماقه مقتنعًا أنه غارق فى حالـة من (الخزى) ، ولن يكون سهلاً عليه الخروج منها ، حتى أصبح يقـبل (الخـزى) بصفته حالة وجوده، " **لقد حوكم بسبب أسلوبه فى الحـياة، لا لأفعاله الشاذة** " .و لم يبق له إلا الفن ، فحاول أن ينهمك فى استكمال أوبراه ، و" لهذا كان عليه أن ينصت الى تيريزا .. قد تكون هى آخر من بيدها إنقاذه . تيريزا هى الكرامة الغابرة " . كما استمر فى القيام بـدوره الـذى وجـده فى الريف بمساعدة صديقة ابنته ، التى تعمل فى مستوصـف حـيوانات ، فى القتل الرحيم والتخلص من جثثها بحرقها . وامتد الإهمال و استشرى إلى حياته ، وأفل مشروعه الموسيقى " **مسكينة تيريـزا . لقـد أعادها من القبر ، ووعدها بحياة أخرى ، والأن هاهو يخذلها، ويأمل أن تسامحه من قلبها**".. كان قد أصبح مجرد عجوز بائس ، يقضى عقوبته !

ثمن البقاء :

ويبقى سؤال : بم (يفسر) موقف الابنة لوسى ؟

إذا رجعـنا الى (جذور) لوسى ، كما أوضحها الأب خلال حديثه مـع المشرفة على مستوصف الحيوانات ، حين قال " **والدة لوسى كانت**

هولـــندية ولابـــد أننى أخبرتك بهذا.. اسمها ايفيلينا.. عادت إيفى بعد الطلاق إلى هولندا ، وبعد ذلك تزوجت من جديد .ولم تتفق لوسى مع زوج أمها الجديد ، فطلبت أن ترجع الى جنوب إفريقيا" ،" واختارت محـــيطًا معيـــنًا ومستقبلاً معينًا ".ولعل فى ذلك ما يفسر عرضه عليها أن تـــرحل إلى هولـــندا ، حيث "لديها عائلة فى هولندا وأصدقاء . وقد لا تكـــون هولندا المكان الأكثر إمتاعا للعيش فيه ، لكنها على الأقل لا تولدكوابيس"، لكنها رفضت عرضه.

والآن إذا أردنـــا أن نعـــرف (ماتريده) لوسى ، فسيتجلى ذلك من خـــلال حـــوا ر مركـــز كاشف مع أبيها، حين قال ملوحًا بيده باتجاه الحديقـــة:" أهـــذا ما تريدين من الحياة ؟" ونحو المترل الذى كان سقفه يعكس أشعة الشمس المتلألئة. أجابت لوسى بهدوء : " إنه يفى بالغرض"

كما كانت لوســـى (تعى) أن صديقتيها بف وبيل شو –كما قالت لـــه – " لـــن يرقيا بى إلى حياة أفضل ، والسبب فى ذلك يعود إلى أنه لاوجـــود لحـــياة أرقـــى .. هذه هى الحياة الوحيدة المتوافرة؛ أى التى نتقاسمها مع الحيوانات".

وفى الـــوقت الذى كان والد لوسى يتعامل بعقلية (الماضى)، فيطلب مـــنها أن تطرد بتروس ، الذى كان(عبدًا) عندها ذات يوم ، كانت هى تـــتعامل بعقلـــية (الحاضر) بكل ما اشتمل عليه من متغيرات ، وهو ما أوضحته حين قالت إنه " ليس مجرد عامل مستأجر، أستطيع أن أطرده؛ لأنه فى رأيى يختلط بالأشخاص غير المناسبين، هذا الوضع انتهى ، ذهب

مع الريح، وإذا أردت أن تعادى "بتروس" ، فمن الأفضل أن تتأكد مما لديك من حقائق "

وقـــد يفســـر ذلك بأن الأب مازال يهيمن عليه الفكر (العنصرى) القديم يهيمن عليه ، وهو مابدا خلال حواره مع بتروس ، حين أوضح له أنـــه سيتزوج لوسى فطلب الأب منه أن يشرح مايعنى ، ثم تراجع قائلاً **"ليس هكذا نعالج نحن الأمور " ..**" **نحن** " كاد يقول " **نحن الغربيون** ".

وعلى الجانب المقابل ، جانب بتروس ، تجلى الاتجاه ذاته بالالتجاء الى (معســكره) الأكــبر وبشكل سافر ، حين واجه الأب بتروس بأنه كان يعــرف أحـــد المغتصبين الثلاثة ، ويدعى بولوكس وهو أخو زوجته ، فأجـــاب "بتروس" مدافعًا " **لقد عدت لتعنى بابنتك ، أنا أيضًا أعـــنى بـــابنى** " .ثم استطرد مؤكدا الارتباط (القبلى) ذاته "**نعم .. هو ابنى .. هو عائلتى .. هو قومى** " . عندئذ فهم الأب (الحقيقة) : " **إذًا هذا هو الأمر، لم يعد يكذب .. قومي.. جواب عار كما أراده** "

لم يكن الأب هو من لمس (لب) الحقيقة ، بل كانت الابنة لوسى ، حـــين فهمـــت أن هـــناك (ميراثًا) قديمًا من الكراهية والحقد، وجد له (متنفســـا) بعد أن تغيرت الأحوال "**كان الأمر شخصيًّا ، وقد نفذ بحقد شخصى . هذا ما أذهلنى أكثر من أى شىء آخر .. أما بقية الأمر فقد كانـــت مـــتوقعة .. ولكن ..لماذا يكرهوننى إلى هذا الحد ؟ إن عينى لم تكن قد وقعت عليهم قط**"

إن مالم تستوعبه لوسى من الأمر ، أنها لم تكن مقصودة بنفسها ، بل (كرمـــز) لطبقة قديمة من البيض، تأصلت كراهيتها عبر سنين من القهر

فى نفـــوس الســـود . ولعل ذلك ماعناه بولوكس بعد انتهاء شجاره مع الأب وكلابه ، حين كانت آخر كلماته " **سنقتلكم جميعا !** "

وفى لحظة (وعى) استبصرت الابنة حقيقة ما يحدث ، حين واجهت أباها " **ماذا لو أن ذاك هو الثمن الذى على المرء أن يدفعه ليبقى هنا ؟ ربما هكذا يفكرون هم ، وربما هكذا يجب علىَّ أن أفكر أنا أيضًا. هم يـــرون أنى أملـــك شـــيئًا .. يرون أنفسهم كمحصلى ديون ، كجباة ضرائب. ما المبرر ليسمحوا لى أن أعيش هنا دون أن أدفع الثمن ؟ لعل هذا مايقولونه لأنفسهم** "

فى تلك اللحظة ، انداحت أمام عينى الأب (الحقيقة) عارية ، سافرة " **عصـــابة مـــن ثلاثة رجال.. ثلاثة آباء مجتمعين فى واحد.. مغتصبون أكثـــر مـــنهم لصـــوص، كما وصفتهم لوسى، مغتصبون اجتمعوا معًا وراحـــوا يمشـــطون المـــنطقة، يغتصبون النساء، وينغمسون فى متعهم العنـــيفة. حَسَـــنٌ، كانت لوسى على خطأ،لم يكونوا يغتصبون، كانوا يتـــزوجون. لم يكـــن مبدأ اللذة هو الذى يحكم العرض وإنما الخصى، أكياس منتفخة بنطف تتوجع لتحقق اكتمالها "، " أى نوع من الأطفال يمكـــن لـــنطفة كتلك أن تنتج، نطفة وضعت داخل امرأة ليس بفعل الحـــب، وإنما بفعل الكراهية، اجتمعوا عمائيًّا لبذرها، لدمغها، كبول كلب؟**"

وحين رأى الأب (تقبل) ابنته لدفع (ثمن) البقاء ، حاول أن يثنيها عن عزمها " **لكن ما تتحدثين عنه أمر جديد .. إنه استعباد .. يريدون أن يستعبدوك** "

فصـــححت لـــه الابنة تعبيره: " إنه ليس استعبادا .. هو إخضاع .. إذلال " !

وأســـفرت عن قبولها الزواج بوضوح " عد إلى بتروس...–إذا ظل المنزل باسمي – سوف أصبح ساكنة ، وأقيم على أرضه "

كانـــت تتـــنازل عن أرض سبق أن تملكتها ، تتنازل عن كل شيء ، مقابـــل بـــيت صغير تقيم فيه وحدها بحرية، فاعترض الأب: " كم هذا مذل. كانت آمالاً شامخة ، وهاهى تنتهى إلى هذا ".

فأجابـــت " نعـــم ، أوافقك ، هو مذ ل . ولكن لعلها تكون نقطة بدايـــة جـــيدة . لعل هذا ما ينبغى علىَّ أن أتعلم قبوله .. أن أبدأ من الصـــفر، دون أى شيء .. بلاخيارا ت ، ولا أسلحة ، ولا ملكيـــة ، ولا حقوق ، ولا كرامة "

" ككلبة "

" نعم ، ككلبة "

كانـــت الابنة عبر حياتها فى الريف سنوات طويلة ، قد تفهمت عدالة قضـــيتهم ، حتى بعد أن وقعت ضحية فى طريقها ، وأنه كان يتعين عليها - طالما اختارت البقاء – أن تدفع ثمن ميراث طويل من الكراهية والحقد والقهر والاستغلال لإمبراطورية (الآمال الشامخة) ، التى تهاوت محترقة ، وإن ظل أوارها حيًّا تحت الرماد ، يحرق بعض الأبرياء بضراوة عمياءا

*** حوار نادر مع ج.م. كويتزى حول رواية "خزى"**

كاتب يفضل أن يدع كتبه تعبر عن نفسها !

حاوره : جون مارك ابرهات

إذا كانت كتابة ج.م. كوتيزى مركزة.. فإن الرجل نفسه قليل الكلام .. ينأى المؤلف الجنوب إفريقى بنفسه عن الشهرة . إنه يعيش كى يعمل، وهـــو عمل يتكون من أستاذ فى اللغة الإنجليزية ، وكتابة القصص الفائزة بجوائز .

جـــاء القليل المعروف عن جون مايكل كويتزى فى غالبيته كلمحات ثانـــوية خاطفـــة، مثل: مقال جاسون كوولى فى أكتوبر ١٩٩٦ فى " نيو ستيتسمان " ، الذى اقتبس منه الكاتب رين مالان مايلى :

" كويتـــزى " ، قـــال مالان " رجل ناسك إجمالا فى نظامه الذاتى وتفانـــيه . هـــو لا يشـــرب ـــ أو يدخن ، أو يأكل اللحم .. تتسع مساحات دوائره ، كى يحتفظ بلياقته ، ويقضى ساعة يوميًا على الأقل أمـــام مائـــدة كتابته كل صباح ، سبعة أيام فى الأسبوع . ادعى زميل عمـــل معـــه لمدة عقد من الزمان ، أنه رآه يضحك مرة واحدة . ومن خـــلال معـــرفة شخصية ، بعد أن حضر معه عدة حفلات للعشاء ، لم ينطق كويتزى بكلمة واحدة"

لم يكســـر كويتزى صمته تمامًا ، مؤخرًا من أجل " ذا كنساس سيتى ســـتار " ، لكـــنه ثناه فعلا ، مانحًا حوارًا نادرًا . عرض الكاتب إجابات مدمجة عن أسئلة بالبريد الإلكترونى (معروضة من خلال وكيله الأدبى) ،

تـــتعلق برواية "خزى "، التى فازت بجائزة البوكر عام ١٩٩٩ ، واختيرت مؤخرًا بواسطة " ذا ستارز " لنادى الكتاب FYI.

كانت جائزة البوكر الثانية لكويتزى عملاً فذًا ، لم يحدث لأى كاتب آخـــر . حـــدثت فى رواية " خزى " فواجع للبروفيسور ديفيد لرى مع إحـــدى طالباته ، فقد على أثرها وظيفته ، كما تعرض لهجوم بدنى وقع علـــيه هو وابنته ، فناضل ضد تيارات العنصرية الموروثة فى جنوب إفريقيا "الجديدة ".

لكـــن رواية " خزى " ليست محزنة، وربما يرجع ذلك إلى أن لرى قد اتخـــذ موقفًا عدوانيًا من خلال دفاع عصبى لما يتطلبه المجتمع المعاصر من المارقين ، أو أن نثر كويتزى ينشر ضوءًا على ظلال قصته القاتمة . وأخيرًا – مـــرة أخـــرى– من يدرى ؟ . هذا ما يعرفه كويتزى .. أو على الأقل ماكان راغبا أن يقوله .

*حـــدثت بعض أشياء غير سارة فى ذلك الكتاب ، ورغم ذلك.. فإن روايـــة " خزى " ليست تجربة شديدة الوطأة على القراءة . كيف شيدت الكـــتاب الـــذى نقب عن أصل موضوع، يمكن أن يعتبر مروعًا تمامًا : اغتصاب ، عنصرية ، قسوة على الحيوانات ، ..إلخ، ومع ذلك ظل تدفق الكتاب مؤثرًا بشكل ظاهر للعيان؟

كويتزى: **لقد كتبت جيدا بقدر ما أستطيع . إذا كان تدفق الكتاب مؤثـــرًا ، فهـــذا يسعدنى .. لا يحتاج الفرد إلى نظرية حول أن يكتب جيدًا، من أجل أن يكتب جيدا.**

*عقّب بعض القراء بأن ديفيد لرى شخصية يصعب أن تحـــب .. أنا لا أوافقهـــم، لقـــد كان رفضه أن يعتذر حول انبثاق عيوبه يكاد يكون بطوليًا. هل اعتزمت بالنسبة له أن يكون محبوبًا رغم عيوبه ؟

كويتزى: استغرقت كتابة الكتاب أكثر من سنتين، ولم يكن ممكنًا أن أعيش مع ديفيد لرى هاتين السنتين، إذا كان شخصية غير سارة كلية.

*كـــان للأستاذ لرى حادث مع إحدى طالباته، ثم أخذ الكتاب ،بعد ذلـــك وعلى الرغم منه، مناحٍ شيقة وغير متوقعة . كيف يحافظ الكاتب على تحكم متوتر لمادة الرواية ، حتى حين تمضى بالقراءة إلى أماكن ربما لم ولن يشاهدها القراء ؟

كويتزى: كيف أحافظ على تحكم متوتر ؟كيف يمكن أن يظل فنان السلك العالى على السلك ؟ بأن يكون حذرًا من أن يسقط .

* مـــا تزال تعيش فى جنوب إفريقيا . هل تغيرت الأشياء فى السنوات العشـــر الأخـــيرة ، أم أن رأيـــك أنه ما يزال فى ذلك القطر عناصر شد مســـتمرة دون أن تحل ؟ ماذا يمكن لجنوب إفريقيا أن تفعل ، حتى تعالج تاريخها الطويل من الخلاف العنصرى ؟

كويتزى: أنا لست معالجًا، ولو كنت كذلك ، لكانت أول كلمات يمكن أن تراودنى " أيها المعالج ، عالجهم " .

* ربمـــا أكون قد بالغت ، ولكنى وجدت مشاهد تتعامل مع القسوة علـــى الحـــيوانات ، ربمـــا كانت أكثر تعديبًا أثناء القراءة ، من تصوير الأشياء المرعبة التى تحدث للكائنات البشرية فى هذه القصة ؟

كويتزى: يوجد فى العالم حيوانات أكثر كثيرًا من الكائنات البشرية، لذلك لن يكون من الغباء أن نهتم بالحيوانات .وقد كتبت كتابًا مكرسًا كلـــية لســـؤال حـــول كـــيف يعامل البشر الحيوانات ، هو " حياة الحيوانات"، الذى نشرته وكالة جامعة برستون .

* يقـــول ديفـــيد لرى أن بليته الجنسية حدثت بسبب الهوى . لكننى أتعجـــب مـــن ذلك ، لأن كلا الطرفين فى هذا الشأن ، يظهران حقيقة بالأحـــرى ، عـــدم اكتـــراث حولها جميعًا . فى حالة لرى كانت هناك بالتأكيد رغبة جنسية ، لكن حتى رغبته تلك تبدو لى مثيرة للشك . هل يبحث ديفيد لرى حقيقة عن طريق للخروج من وجود مؤلم بالنسبة له؟

كويتـــزى: **أنا لا أعرف الإجابة . أنا لا أعرف عن ديفيد لرى أكثر مما كتبت.**

* إن مـــن المغـــرى قـــراءة لقـــاء لرى مع بيف ، المرأة التى تعمل فى مستوصف الحيوان كمثال لنوع من النمو الروحى (على الأقل كان ينام مـــع امـــرأة ناضجة بدلاً من إحدى طالباته) . وكان من المغرى أيضًا قـــراءة مثال آخر للغزل؛ أى قراءة تفضل ، أو هل تسقط حقيقة علاقته مع بيف فى مكان ما بين تلك التيارات الصارمة ؟

كـــويتزى: **لا أعـــتقد أنها فكرة جيدة للكتاب أن يمنحوا أنفسهم سلطات، حول كيف يمكن لكتبهم أن تقرأ .**

*كـــان يمكن لديفيد لرى أن يوصف بالتأكيد كمتكبر ، حينما كانت الرواية تبدأ .. ربما بقى بعض من ذلك النوع فى النهاية، ولكن لو حدث ذلـــك فإننى لا أراه. هل يوجد أى طريق ، كى يكون متكبرًا وأن يشعر بالخـــزى، كذلك بالدرجة نفسها؟ . لنصغ الأمر بشكل آخر: هل كان ديفيد لرى بطلاً بيرونيًا ؟ . لقد كان معجبًا بأعمال بيرون فى أى وقت، فى تلك الرواية، كان كذلك؟

كويتـــزى: **لست متأكدًا من أنه يمكن لأى فرد أن يكون شخصية بيرونـــية خارج دراما بيرونية . كان ديفيد لرى دارسًا لبيرون ، كان**

يكتب أوبرا من نوع ما حوله، ودون أدنى شك كان لبيرون تأثير مولد عليه ، كما لكل الكتاب الذين نقرأ لهم بعمق . أليس ذلك كافيًا ؟

* هل الحنو أكثر أهمية من الحب ؟

كويتزى: أو ليس مهمًا من أجل ترتيب الفضائل .

عن حوار منشور
جريدة "كانساس سيتى ستار"
بتاريخ ٦ أبريل ٢٠٠١

نص جديد ، وكتابة أصيلة :

والآن ، لنتخـيل ج. م. كويتـزى حين وصلته دعوة مركز تاونسند للعلـوم الإنسـانية ، بأنـه يشرفهم أن يكون ضيفهم (المختار) لدورة محاضرات " آنا " السنوية ، وأن له أن يشارك بأى موضوع يختاره .

لم يكـن (اختـيار) الموضوع صعبًا ، بل لعله نبع تلقائيًا من واقع (انتمائه) الخاص؛ إذ طالما سيتحدث إلى جمهور متميز من طلبة وخريجى وأسـاتذة جامعة بيركلى بالولايات المتحدة (الأمريكية) ، فيفترض أنهم ينتظرون منه أن ينقلهم إلى عالمه الخاص (كروائى) من جنوب (إفريقيا)، مـن خلال إطلالة أوسع على قارة (إفريقيا) ، ذلك العالم (المناظر).. الـذى لا (يعـرفون) عنه الكثير . وربما ،هكذا (بزغ) بشكل طبيعى موضوع "الرواية فى إفريقيا " !

لكـن الأمر لم ينته عند هذا الحد ، فعلى الرغم من أن الموضوع كبير، واسع ، ومتشعب ، إلا أنه كباحث أريب ، لم يكن عبء البحث يشكل عقـبة أمامه . لكن ذلك بالتحديد ، لم يكن أيضًا يرضيه ، بل كان يمثل تحـديًا لـه؛ لأنـه كـان يرفض أن يسقط فى فخ بحث أدبى ، له شكل (تقليدى)، تم استنفاده من كثرةاستخدامه.. كان يطمح (كفنان) كبير إلى شكل (جديد) !

لم تكـن هى المرة الأولى ، التى يقع فيها كويتزى فى هذا (المأزق) ، كـان قـد سبق أن وجهت إليه دعوة مماثلة ، كى يلقى محاضرة فى كلية بننجتون عام ١٩٩٧ ، بعنوان " ما الواقعية ؟"، فى الوقت الذى كان فيه قـد أكد وجوده ، حتى تلك اللحظة— عبر ما يقرب من نصف قرن من

الــزمان — فى مجــالين : الأول (إبداعى) نشر فيه ثمانى روايات، منها روايـــتان قصـــيرتان ، والـــثانى (نقدى) ، حيث عمل أستاذا للأدب الإنجليـــزى بعدد من الجامعات ، كما صدر له كتابان نقديان ، بالإضافة إلى عشرات المقالات النقدية ، التى جمع بعضًا مما نشره منها، فى الفترة من ١٩٨٦- ١٩٩٩، فى كتاب بعنوان " شواطئ غريبة ".

كـــان كويتـــزى يجمـــع فى تكوينه بين قدرات المبدع اللامع والناقد المتخصص، وبحكم تكوينه العلمى وحساسيته ، كان (واعيًا) بإمكاناته تلك، وربما خطرت له عندئذ فكرة من(وحى) تكوينه . . لماذا لا يمزج بين المجالين فى نسيج واحد ، يجمع بين (القصة) و(النقد) ، وتقدم فيه الرؤية النقدية من خلال شكل قصصى ؟ !

كانـــت الفكـــرة شـــديدة (البساطة) ، شديدة (الجدة)، شديدة (الأصالة) فى الوقت نفسه. ولربما لفرط ما كانت فى متناولنا ككتاب لم يفطـــن إليها أحد ، أو ربما فطن إليها البعض وأعيتهم المحاولة حين باءت بالفشل؛ لأنها كانت – فى الحقيقة – تتطلب قدرات خاصة فى مجالى النقد والإبـــداع ، حـــتى بدت وكأنها كانت تنتظر ذلك الوافد (الجديد) من جـــنوب إفـــريقيا ، الذى درس واستوعب تاريخ تطور الرواية العالمية ، وكـــان يجمـــع بين جنبيه قدرات متميزة فى الإبداع والنقد ، مكنته من (إبداع) شكل جديد، يجمع فى نسيجه القصصى مادة نقدية!

نفـــذ ج. م. كويتزى تلك الفكرة ، أولاً فى " ما الواقعية ؟ " فى كلية بننجـــتون عام ١٩٩٧ ، ولما تكررت الدعوة ، نفذها بشكل أكثر إمتاعًا للقـــراء ، فى " الرواية فى إفريقيا " فى جامعة بيركلى عام ١٩٩٨ ، ولعل

هــذا مــا سيلمسه القراء من سلاسة فى العرض ، وبساطة فى التناول ، وحــبكة فى البناء ، أثناء قراءة (ترجمة) هذا النص (البديع) ،الذى يقدم أيضا كتابة(أصيلة) شديدة الصدق والتأثير !

"الرواية فى إفريقيا"
ج. م. كويتزى

"قراءة فى ترجمة النص"

تقابــل ،فى حفل عشاء (س) ، الذى لم تره منذ سنين . تسأله ، إذا ماكـــان مايزال يدرس فى جامعة كويترلاند ؟، يجيب " لا " ، فقد تقاعد وهو يعمل الآن فى سفن تطوف البحر ، تسافر عبر العالم ، عارضًا أفلامًا قديمـــة ، متحدثًا إلى أناس متقاعدين حول برجمان وفلليني، وهو لم يندم أبدًا على اتخاذه هذه الخطوة. " **الأجر جيد ، عليك أن ترى العالم .. هل تدرين ؟.. الناس فى ذلك العمر ينصتون فعلاً لما يجب عليك أن تقول**"، يلـــح علـــيها أن تـــبذل محاولة، " **أنت شخصية بارزة ، وكاتبة معروفة جـــيدا. إن خـــط الطواف الملاحى ، الذى أعمل له سيوافق على أن يـــتعاقد معـــك ، ستكونين شارة امتياز على قبعتهم .. قولى كلمتك، وسأقدم الأمر إلى صديقى المدير** " .

يـــثير العرض اهتمامها .. كانت على سفينة لآخر مرة عام ١٩٥٨، حين أبحرت من سيدنى إلى إنجلترا، إلى البلد الأصلى . سريعًا بعد ذلك بدأ تـــراجع خطوط بواخر الذهاب العظيم إلى المحيط ، واحدًا إثر الآخر ثم تم هجـــرها.. تلـــك نهاية عصر، ولن تمانع فى أن تفعلها ثانية ، وتمضى إلى البحـــر.. إنهـــا ترغب أن ترى جزيرة " إيستر " ، و " سانت هيلينا " ، حيث عزل نابليون، كما ترغب فى زيارة قارة " آنتاركتكا " ، ليس فقط كى ترى تلك الآفاق الشاسعة ، تلك الضياع القاحلة من الثلوج ، ولكن

لكـــى تهبط أيضًا إلى سابع وآخر قارة.. كى تعرف ماذا يعنى أن تكون مخلوقا حيًّا على أرض باردة لاإنسانية .

كـــان (س) جـــيدا ككلمته.. يصل فاكس من المراكز الرئيسية من خطوط" سكانديا " فى ستوكهولم:ستبحر باخرة " س.س.نورثرن لأيتس" فى شـــهر ديسمبر من ميناء " كريستشيرش "، فى رحلة طواف بحرية لمدة خمسة عشر يومًا إلى " روس آيس شلف " ، ثم إلى كيب تاون . هل يثير اهـــتمامها أن تنضم إلى هيئة التسلية والتعليم ؟ علمًا بأن مسافرى سفن ســكانديا للطواف البحرى ، كما يصفهم الأدب " **أشخاص متميزون، يأخـــذون أمـــر تمضية وقت فراغهم بجدية**"، وسيكون تدعيمًا للبرنامج الـــذى يجـــرى على سطح السفينة عن علم الطيور وعلم تميؤ الماء البارد، ولكن سيكون من دواعى سرور "سكانديا" إذا ما أمكن للكاتبة المعروفة اليزابيث كاستلو أن تجد وقتًا كى تقدم مقررًا ، ولنقل ، الرواية المعاصرة. وبالمقابل ، ومن أجل أن تتواصل بنفسها مع المسافرين ، فسوف يوفر لها مضـــجعًا دزجـــة أولى مكيف الهواء ، مدفوع النفقات على " كريست تشيرش " حتى كيب تاون ، تكريمًا لاغتنامها .

كـــان عرضًـــا لايمكـــن لهـــا أن ترفضــــه ، فـــتلحق بالسفينة بميناء "كريستشـــيرش" فى صـــبيحة العاشر من ديسمبر.. تجد كابينتها صغيرة ولكـــنها مرضية تمامًا، وكان الشاب الذى يدير تنسيق التسلية والتطوير الذاتـــى محتـــرمًا . كـــان المسافرون على مائدتها فى فترة الغداء ، أناسا متقاعدين ، أناس من جيلها نفسه، مسرورين ، وغير متفاخرين .

كانـــت تعـــرف واحدًا فقط من بين رفقائها ، هو أمانويل أجيدى ، كاتـــب من نيجيريا . قابلته لأول مرة منذ سنوات ، سنوات أكثر من أن تتذكـــرها ، فى مؤتمـــر " القلـــم " فى كوالا لامبور. كان عندئذ مرتفع الصوت ومتقدًا ، حتى ظنته نوعًا "متكلفا " .. هكذا سيكون على الأقل هناك من تتحدث معه ، شخص ما سيكون ، بطريقة ما ، إلى جانبها .

يقضـــى أجـــيدى وقتًا قليلاً هذه الأيام فى وطنه المحلى.. يقضى أمور حـــياته عن طريق دائرة المحاضرة ، وهى دائرة واسعة بما فيه الكفاية؛ حتى تبدو أنها تشمل سفن الطواف البحرى.. ستكون تلك رحلته الثالثة على " نورثرن لايتس " مريحة جدًّا ، يقول ، باسترخاء شديد: **من كان يخمن،** يقـــول ، **أن ولدا ريفيًّا مثلى سيصل إلى هذا الطريق ؟**، ويمنحها ابتسامة كبيرة .

" **أنا نفسى فتاة ريفية** " كان يمكن أن تقول ، لكنها لم تفعل:" **ليس هناك شيء خاص فى كونك من الريف** " .

كـــان متوقعًا أن يدلى كل من هيئة التسلية بحديث قصير عام: " **لمجرد أن تعرف من أنت ، ومن أين أتيت** " يوضح المنسق الشاب بلغة إنجليزية حـــذرة.. اسمـــه ميخائيل ، وسيم بطوله ، أشقر على النسق السويدى ، ولكنه صارم جدا ، بالنسبة لها.

كان عنوان حديثها " **مستقبل الرواية** " ، وبالنسبة لأجيدى "**الرواية فى إفريقيا** ". كانت ستتكلم وفقًا للبرنامج فى صبيحة أول يوم لإبحارهم ، وكـــان سيتكلم فى فترة ما بعد ظهيرة اليوم نفسه، ويأتى فى المساء صوت تسجيلات " حياة الحيتان " .

يقوم ميخائيل بنفسه بالتقديم: " **الكاتبة الأسترالية المشهورة** " ، كما يدعوها، " **مؤلفة رواية منزل فى شارع أكسل وروايات أخرى عديدة ، الـتى نتشـرف حقيقة بأن تكون بيننا** ".. يثيرها أن ترتبط مرة أخرى بكـتاب صدر منذ زمن بعيد فى ماضيها ، ولكنها لاتملك أن تفعل شيئًا حيال ذلك.

" **مستقبل الرواية** " هو حديث سبق أن قدمته من قبل ، فى الحقيقة ، عدة مرات من قبل ، مطولاً أو مختصرًا بما يعتمد على المناسبة.. لاشك أن هناك ترجمات مطولة أو مختصرة عن الرواية فى إفريقيا ، وعن حياة الحيتان أيضًا، وقد اختارت نصًّا مختصرًا من أجل هذه المناسبة.

" **لســت معنــية كثيرًا بموضوع مستقبل الرواية** " تبدأ ، محاولة أن تصـدم مـراجعيها: " **فى الحقـيقة فإن المستقبل بشكل عام لايعنينى.. المستقبل ، رغم كل شيء ، هو بناء من آمال وتوقعات.. إنه ما يكمن فى الذهن ، إذًا ليس له حقيقة** " .

" **بطبيعة الحال قد تجيبون أن الماضى هو بطريقة مماثلة قصة.. الماضى تـاريخ ، وما التاريخ إلا قصة نحكيها لأنفسنا ، بناء ذهنى . لكن هناك شـيئًا معجزًا حول الماضى يفتقد إليه المستقبل . إن ما هو معجز حول الماضى هو أن كل الأمم – ربما حتى كل النوع البشرى بشكل عام – قد نجح فى صنع آلاف وملايين القصص الفردية – القصص التى ولدت بالـتحام كائنـات بشرية بشكل كاف؛ كى تمنحنا ماضيًا مشتركًا ، وتاريخًا مشتركًا .**

يختلف المستقبل.. ليست لدينا قصة مشتركة للمستقبل.. يبدو أن خلق الماضي قد استنفذ قدراتنا الجماعية على الخلق.. وبالمقارنة مع قصتنا حول الماضى ، فإن قصتنا حول المستقبل هى تجريد ، قاحل ، شأن شاحب ، كما تؤول كل رؤى من السماء ، إلى أن تكون: من السماء أو حتى من الجحيم "

تمضى الرواية ، الرواية التقليدية ، كما نقول ، كمحاولة لتفهم قدر الإنسان ، لتفهم كيف أن شخصًا ما ، كائنًا تابعًا ، بدأ من نقطة أ ، ومضى عبر تجارب إلى نقطة (ب) ، و(ج) ، و(د) ، ليتوقف عند نقطة (ز). لذلك فإن الرواية مثل التاريخ أيضًا ، هى تمرين على بناء الماضى.. ومثل التاريخ أيضًا، فإن الرواية تعتبرتحقيقًا فى قوة الشخصية، وفى قوة الظرف. وباكتشاف قوة الماضى كى ينتج الحاضر، فإن الرواية توحى بكيف يمكن أن نكتشف الحاضر؛ كى ينتج المستقبل.. هذا هو ما تقدمه الرواية ، أو ما تستطيع أن تقدم، وهذا يفسر لماذا توجد لدينا.

لم تكن واثقة ، أثناء قراءة نصها ، ما إذا كانت تؤمن أكثر من ذلك بما تقول.. ربما كان لتلك الأفكار بعض الاستحواذ عليها، حين كتبتها لأول مرة منذ عدة سنوات ، لكن بعد عدة تكرارات، بدأ التعب يبدو عليها، وكذلك عدم الاقتناع .من ناحية أخرى.. لم تعد تؤمن بقوة شديدة أكثر من ذلك فى الإيمان.. يمكن أن تكون الأشياء صحيحة ، كما يراد لها ، حتى لو لم يؤمن الفرد بها ، بالتحاور معها.. ربما لم يعد الإيمان أكثر من منبع للطاقة ، مثل بطارية ، يصل بها الفرد فكرة ، حتى يجعلها تعمل.. مثلما يحدث حين يكتب فرد : إيمان بما يجب أن تؤمن به ، حتى يتم العمل .

إذا كانـــت لديها متاعب إيمانية فى مداخلتها ، فإن لديها متاعب أكثر شدة فى منع عدم الاقتناع بذلك من أن يظهر فى صوتها، رغم أنها مؤلفة ، مـــرموقة ، كما يقول ميخائيل ، " مترل شارع آكسل " وكتب أخرى ، ورغم حقيقة أن مستمعيها من نفس جيلها ، وهو ما يعنى أنهم يناطرونها ماضيًا مشتركًا ، فإن التصفيق فى نهاية محاضرتها كان يفتقد إلى الحماس .

تجلس فى الصف الخلفى ،من أجل حديث أيمانويل أجيدى.. كانوا قد تناولوا فى الوقت نفسه غداءً طيبًا ، ويبحرون جنوبًا فى بحار لاتزال هادئة. توجد هناك فرصة محدودة لأن يوجد بعض الجمهور الطيب بين المستمعين – عددهم كما تخمن ، حوالى خمسون – سيغفون لاإراديًا. فى الحقيقة ، مـــن يعلم ، ربما تغفى هى نفسها لاإراديًّا، على أية حال.. فإن أفضل ما تفعله هى أن تكون غير ملاحظة.

" ســـتعجبون مـــن الســـبب فى أننى اخترت موضوعى (الرواية فى إفريقيا)، يبدأ أيمانويل بصوته الذى يهدر دون جهد . " **ما الشيء شديد الخصوصية حول الرواية فى إفريقيا ؟ ماذا يجعلها مختلفة ، مختلفة كفاية حتى تستحوذ على اهتمامنا؟"**

" حســـنا ، دعونا نرى.. نعرف كلنا ، فى المقام الأول ، أن حروف الهجاء ، فكرة حروف الهجاء ، لم تبزغ فى إفريقيا .أشياء كثيرة بزغت فى إفـــريقيا ، أشـــياء أكثر مما تعتقدون ، ولكن ليس من بينها حروف الهجاء . لقد جلبت حروف الهجاء إلى هناك ، أولاً بواسطة العرب ، ثم مـــرة أخـــرى بواسطة الغربيين.. لذلك فإن الكتابة فى إفريقيا ، كنص مكتوب – ولن نقول شيئًا عن الرواية – هى أمر حديث.

" قـــد تســـألون.. هل تكون الرواية ممكنة دون كتابة روائية ؟ هل كـــان لدينا فى إفريقيا رواية قبل أن يجئ أصدقاؤنا المستعمرون؟ دعونا نرجئ ذلك السؤال فى الوقت الراهن.. قد أعود إليه لاحقًا ."

" ملاحظـــة ثانـــية : لا تعتـــبر القراءة إعادة خلق إفريقى بشكل مطابـــق.. الموســيقى نعم ، الرقص نعم ، الأكل نعم ، الحديث نعم – كثير من الحديث . لكن القراءة ، لا ، وبشكل خاص قراءة الروايات الضخمة.. تجذبنا القراءة نحن الإفريقيون ، كعمل متوحد ، ذلك الذى يتـــركنا بصعوبة.. حين تزور مدنًا أوربية عظيمة مثل باريس ولندن ، تـــرى المســـافرين يصـــعدون إلى القطارات ، ويستخرجون فورًا من حقائبهم وجيوبهم كتبًا ،وينسحبون إلى عوالمهم المتوحدة.. يبدو إخراج الكـــتاب فى كـــل مـــرة مثل اشارة تنتصب". " دعنى وحيدا"، تقول الإشارة : " أنا أقرأ.. إن ما أقرأه أكثر أهمية مما يمكنك أن تكون " .

" حســـنا ، نحـــن لسنا مثل أولئك فى إفريقيا.. نحن لانحب أن ننزع أنفســـنا عن البشر الآخرين ونرتد إلى عوالم خاصة.. نحن لم نعتد على جيرانـــنا المنســـحبين إلى عوالم خاصة . إفريقيا هى قارة يتشارك البشر فـــيها.. ليست مشاركة أن تقرأ كتابا بنفسك . إن ذلك مثل أن تأكل وحـــدك أو تتحدث وحدك .. إنه ليس أسلوبنا.. نحن نجد ذلك عملاً جنونيا إلى حد ما".

" نحـــن ، نحن ، نحن " تفكر: "نحن إفريقيون.. إنه ليس أ سلوبنا ". إنهـــا لم تحـــب أبدا لفظة " نحن " فى شكلها التضمينى، ربما بدأ إيمانويل يشيخ، لكنه لم يتغير.. الإفريقية : هوية خاصة ، قدر خاص .

لقـــد كانت فى إفريقيا : فى أراضى كينيا المرتفعة ، فى زيمبابوى ، فى مستنقعات " أوكافانجو"، وشاهدت إفريقيين يقرؤون ، إفريقيين عاديين ، فى محطـــات الباصـــات ، فى القطـــارات . لم يكونوا يقرؤون روايات ، أعترف ، بل كانوا يقرؤون صحفًا . لكن أليست الصحيفة عالمًا خاصًّا ، كالرواية ؟

" مـــن ناحية ثالثة " يقول أجيدى ، " فى النظام العالمى العظيم الذى نعـــيش الـــيوم تحت ظلاله ، أصبحت إفريقيا موطن الفقر . ليس لدى الإفـــريقيين مال للرفاهيات. فى إفريقيا يجب أن يمنحك الكتاب شيئًا فى مقابل ما أنفقت عليه من نقود . ماذا يجعلنى أتعلم قراءة هذه القصة ؟ سيســـأل إفريقى ما : كيف ستطورنى ؟ قد يحزننا الموقـــف ، ولكننـــا لا نستطيع ببساطة أن نتجاهله.. يجب أن نأخذ الأمر بجدية، ونحاول أن نفهمه .

" نحـــن نصنع كتبًا فعلاً فى إفريقيا ، لكن الكتب التى نصنعها تكون من أجل الأطفال ، كتبًا تعليمية بأبسط معنى.. إذا أردت أن تجنى مالاً مـــن طـــباعة الكتب فى إفريقيا ، فإن أفضل حل لك هو أن تنتج كتبًا ســـتقرر على الأطفال؛ لأنها ستشترى بكميات بواسطة نظام التعليم؛ كـــى تقرأ وتدرس فى حجرات الدراسة . إذا كنت كاتبًا له طموحات جـــادة ، يريد أن يكتب روايات عن البالغين وموضوعات تتعلق بهم ، فستناضـــل من أجل النشر، وغالبًا سيكون عليك أن تتطلع إلى الخارج من أجل الخلاص.

" بطبيعة الحال ، ليست تلك هي الصورة الكاملة التي أقدمها هنا اليوم، سيدات وسادة النورثرن لايتس . كي أقدم صورة كاملة، سيستغرق الأمر فترة ما بعد الظهيرة كلها.. إنني أقدم فقط تخطيطًا متسرعًا، غير مصقول. بطبيعة الحال ، هناك ناشرون في إفريقيا ، واحد هنا، آخر هناك، سيدعمون الكتاب المحليين؛ حتى إذا لم يربحوا من ورائهم. على اتساع الصورة.. فإن القص وحكي القصص لا يمد بأسباب العيش، لا من أجل الكتاب ولا من أجل الناشرين..

" ذلك كثير جدًا من أجل عموميات ضاغطة . دعونا الآن نعيد اهتمامنا إلى أنفسنا ، إليك وإليّ . أنا موجود هنا ، وأنتم تعرفون من أكون ، يقول لكم البرنامج : أيمانويل أجيدى ، من نيجيريا ، مؤلف روايات ، قصائد ومسرحيات ، فائز حتى بجائزة الكومنولث الأدبية (قسم إفريقيا) . وها أنتم هنا ، جمهور ثري، (أو مستريح على الأقل ، كما تقولون هل أنا مخطئ ؟ هل أنا مخطئ؟) ، من شمال أمريكا وأوروبا، وأيضًا دعونا لاننسى تمثيل ضيفتنا الأسترالية، وربما سمعت كلمة غريبة ناطقة باليابانية في الممرات، تقومون جميعًا بالطواف البحري على هذه السفينة السعيدة، في طريقكم من أجل تفحص واحد من أركان الكون المنعزلة، كي تكتشفوه، ربما تضعون علامتكم عليه. وها أنتم هنا، وبعد غداء طيب تنصتون إلى حديث هذا الرفيق الإفريقي" .

" أتخيل أنكم تسألون أنفسكم ، ماذا يفعل هذا الرفيق الإفريقي على سطح الباخرة ؟ لماذا لم يتخلف على مقعده في أرض ميلاده؛ كي يفعل ما خلق من أجله، إذا كان كاتبا فعلاً ، كما يقال، يكتب كتبًا ؟

مــاذا يفعــل هــنا، وهو يستمر فى الحديث حول الرواية الإفريقية ، موضوع يمكن فقط أن يكون الأكثر بعدًا فى الأهمية بالنسبة لنا؟

إن الإجابــة القصيرة ، سيداتى وسادتى ، هى أنه يكسب عيشه ، لأنه لايستطيع فى بلده.. لا يستطيع أن يكسب عيشه . فى بلده هو (أنا لــن أسخر من هذه النقطة ، بل سأستبعدها فقط ، لأنها لاتمثل حقيقة لــرفقاء عديــدين مــن الكتاب الأفارقة).. هو فى الحقيقة أقل من أن يرحب به، فهو ما يسمى ، فى بلده، مثقفًا مشاكسًا ، ويجب أن يداس المثقفون المشاكسون فى نيجيريا بحرص فى الوقت الراهن" .

" إنــه هنا ، فى الخارج ، يكسب عيشه.. يكسب عيشه من كتابة كــتب ، تطبع وتقرأ ويتحدث عنها وتُحَكَّم ، على الأغلب ، بواسطة أجانــب . إنه يكسب عيشه أيضا من تفريغ لغزل كتابته.. فهو يراجع كــتب الآخــرين فى الصــحافة فى أوروبا وأمريكا ، وهو يدرس فى الجامعــات فى أمــريكا ، مــتحدثًا إلى الشباب الأمريكى فى الموضوع الغــريب – الذى يعتبر خبيرًا به بالأسلوب نفسه الذى يعتبر فيه فيلاً خــبيرًا بين أفيال– وهو الرواية الإفريقية. يحضر مؤتمرات ، يبحر على ســفن طــواف بحرية، وهكذا يظل مشغولاً، يعيش فى غرف فنادق أو يؤجر شققًا.. له عنوان مؤقت ، وليس له إقامة دائمة" .

"كــيف بــأى سهولة ، سيداتى وسادتى ، يكون هذا التابع صادقًا لجوهــره ككاتــب متى كان عليه أن يسعد ، يومًا وراء يوم ، أولئك الأغــراب الموجــودين هناك – ناشرين، قراءً، نقادًا، طلابًا، يأتى كل مــنهم إلى المناظــرة مســلحًا، ليس فقط بأفكاره الخاصة حول ماهية

الكـــتابة، أو مـــا يجب أن تكون ، ما الرواية أو ما يجب أن تكون، ما إفريقيا أو ما يجب أن تكون.. لكن أيضا حول ما يسعد أو ما يجب أن يسعد ؟ هل تظنون أن من الممكن لرفيق كهذا أن يظل غير متأثر بكل الضغط الواقع عليه كى يسعد آخرين ، أن يكون بالنسبة لهم ما يظنون أنه يجب أن يكون ، وأن ينتج من أجلهم ما يجب أن ينتج ؟

"ربما لم تلاحظوا ، ولكننى انزلقت منذ دقيقة ، إلى كلمة كان ينبغى أن تجعلكـــم تنهضـــون وأن تـــثقب آذانكم . تحدثت حول جوهرى، وحول أن أكون صادقا مع جوهرى . لو أعطيت نصف الفرصة ، لربما أمكـــننى أن أتحدث بتوسع أعظم حول جوهر الكائن الإفريقى.. حول جوهـــر الكـــتابة الإفريقية ، لكن ليست هذه هى المناسبة . ومع ذلك يجب أن تتساءلوا ، كيف أبرر عمل الجوهر فى هذه الأيام اللاجوهرية، أيـــام هويات سريعة الزوال ، تلك التى نلتقطها ونرتديها وننبذها مثل الملابس ؟

حـــول الماهـــية يـــوجد تاريخ من الاضطراب فى الفكر الإفريقى الحديث. ربما سمعتم عن حركة الزنوجة فى الأربعينيات والخمسينيات. وطـــبقا لمنشئى الحركة ، تعتبر الزنوجة أساسًا جوهريًّا يربط الإفريقيين معـــا ويجعلـــهم نوعًا فريدًا – ليس أفارقة إفريقيا ، لكن أفارقة إفريقيا العظمى المشتتين فى العالم الجديد، والآن فى أوروبا .

" أود أن أستشـــهد لكـــم بكلمات من الكاتب والمفكر السنغالى العظـــيم، شيخ حميدو خان .. سئل شيخ حميدو بواسطة محاور " لدى بعـــض التحفظات " قال المحاور" بماذا تسمى الكتاب الأفارقة والكتابة

الإفــريقية، على ضوء حقيقة أن الكتاب الأفارقة الذين أشرت إليهم يكتبون بلغة أجنبية (فى هذه الحالة الفرنسية) وينشرون ، ويقرؤون فى الأغلــب الأعم فى بلد أجنبى (فى هذه الحالة فرنسا) ، هل يمكن أن نعتبرهم حقيقة أفارقة ؟ أليسوا ببساطة كتابا فرنسيين من أصل إفريقى؟ لماذا يجب أن يأخذ أصل الأسبقية عبر لغة ؟ "

" هــذه هى إجابة شيخ حميدو : " إنهم حقًّا أفارقة؛ لأنهم ولدوا فى إفريقيا ، هم يعيشون فى إفريقيا ، حساسيتهم إفريقية .. (ما يميزهم ، يكمــن) فى تجارب حيوية ، فى حساسية ، فى أسلوب "، ثم ا ستطرد "لــدى الكاتب الإنجليزى أو الفرنسى تراث من آلاف السنوات من الكتابة (وراءه) .. نحن (على الوجه المقابل) نورث تراثًا شفهيًّا "[1]

" لم تكــن إجابــة باطنية تلك التى يعرضها هنا الشيخ حميدو.. إنها ليست ما وراء طبيعية .. إنها ليست حتى ضد المادية.. وليست بالتأكيد عنصــرية.. إنها فقط تعطى ثقلاً صحيحًا لتلك العناصر غير الملموسة ، التى ليس من السهولة أن توضع فى كلمات ، بل يسهل عبورها، فهى فى الأســلوب الذى يحيا به الناس ، فى أجسامهم.. فى الأسلوب الذى يحركون به أيديهم.. فى الأسلوب الذى يمشون به.. فى الأسلوب الذى يبتســمون به ويعبسون.. فى إيقاع حديثهم.. فى أسلوب غنائهم.. فى جــرس أصــواتهم.. فى أ سلوب رقصهم.. فى أسلوب لمس كل منهم للآخــر.. فى كيفــية تربيت اليد.. فى حساسية الأصابع.. فى أسلوب ممارســة الحــب.. فى أسلوب رقودهم بعد ممارسة الحب.. فى أسلوب تفكيرهم.. فى أسلوب نومهم" .

" نحـــن الـــروائيون الأفارقة يمكن أن نجسد تلك الأشياء فى كتاباتنا (ودعونى أذكركم عند هذه النقطة أن كلمة رواية ، حين دخلت إلى اللغة الأوربية المتداولة، لم تكن تعنى شيئًا تقريبًا ، عدا أن هناك شكلاً لم يكن لـــه أى شكل ، لم تكن لديها قواعد ، بل صنعت قواعدها بينما كانت تـــنمو ، ذلك كان كل ما عنته). نحن الروائيون الأفارقة يمكن أن ننجح فى المحاولـــة؛ لأننا لم نفقد لمسة الجسد. تعتبر الرواية الإفريقية ، الرواية الإفـــريقية الحقيقية ، رواية شفهية. مكتوب فقط أنها نصف حية.. إنها تســـتيقظ فقط حين تدب أنفاس الصوت إليها ، حين تتحدث بصوت عال.

" لذلك.. فإن الرواية الإفريقية ، كما يمكن أن أدعى ، فى وجودها المحدد ، وقبل أن تكتب الكلمة الأولى ، كان نقد الرواية الغربية ، قد مضـــى بعيدًا عبر طريق الكتابة – فكروا فى هنرى جيمس.. فكروا فى بروست – إنه الأسلوب الوحيد المخصص ، الذى يمكن أن تقرأ به فى صـــمت ووحـــدة.. ســـأغلق هده الملاحظات ، سيداتى وسادتى – لشعورى أن الوقت يقل – باستشهاد ، يدعم موقفى مع شيخ حميدو ، لـــيس من إفريقى ، بل من رجل من أراضٍ جليدية قفر فى كندا ، معلم الشفهية العظيم بول زومثور" .

" منذ القرن السابع عشر "يكتب زومثور ".. نشرت أوروبا نفسها عـــبر العالم كالسرطان ، خلسة فى البداية ، لكن الآن ولبعض الوقت (راكضة) بجموح ، مخرب فى الحاضر لكل أنواع (أ شكال – حياة) ، حيوانات ، نباتات ، بيئات حيوانية ونباتية ، لغات . مع كل يوم يمر ، تختفـــى عـــدة لغات من العالم ، ويتبرأ منها ، تنعزل بعيدا.. كان أحد

أعراضٍ هذه الكارثة منذ البداية .. ما نسميه أدبًا: وقد كسب الأدب أرضًـــا ، حقـــق نجاحًا ، وأصبح ما هو – أحد أوسع أبعاد الإنسان – منكرًا للصوت.. يجب أن نتوقف .. إن الكتابة البدائية .. ربما أفقرت إفـــريقيا العظيمة سيئة الحظ إفقارًا شديدًا بواسطة الاستعمار السياسى الصـــناعى ، ستجد نفسها أقرب إلى الهدف من القارات الأخرى؛ لأنها أقل مسًّا بخطورة الكتابـــة ؟"(٢)

"كـــان التصـــفيق بعد حديث أجيدى عاليًا و مشجعًا.. لقد تحدث بقـــوة، ربما حتى بشجن ، لقد انتصب من أجل نفسه ، من أجل اسمه ، من أجل ناسه ، فلماذا لايحصل على مكافأته ، حتى لو كان فيما يقوله مرجعية قليلة لحياة مستمعيه ؟ . مع ذلك فإنها لم تعجب به ، لم تعجب بباطنية الشفاهية.. إنه الجسد الذى يلح دائمًا، مدفوعًا من قبل الفرد ، والصوت.. الجوهر المظلم للجسد، ممتلئًا رغبة من خلاله..لقد توقعت أن يـــتجاوز إيمانـــويل ذلك ، لكن من الجلى أنه لم يحدث ، كمن قرر بوضـــوح أن يحـــافظ عليه كجزء من مستوى احترافى.. حسنا ، حظًّا سعيدًا له . مازال هناك وقت للأسئلة ، تأمل.. إنهم سيمحصون" .

كانـــت السائلة الأولى – إذا ما حكمت عليها من لهجتها من وسط غـــرب الـــولايات المتحدة – الرواية الوحيدة التى قرأتها لافريقى ، تقول المـــرأة، كانـــت لآموس تيتولا ، نسيت الآن عنوانها (" نخلة نبيذ مسرفة) "حمن أجيدى: " نعم تلك هى " تجيب المتحدثة: كانت مأخوذة.. فكرت أنهـــا كانت بشيرًا لأشياء عظيمة ستأتى.. لقد خاب أملها، خاب أملها بمـــرارة، أن تسمع أن تيتولا ليس محترمًا فى بلده الخاص؛ لأن النيجيريين المـــتعلمين يحطـــون من قدره ، معتبرين أنه غير جدير بسمعته.. هل هذا

صـــحيح؟ هل كان تيتولا شفهيًّا من ذلك النوع الذى ذكره محاضرنا ؟ ماذا حدث لتيتولا ؟ هل ترجمت كتب أخرى له ؟

" لا "، أجـــاب أجيدى ، " لم تترجم لتيتولا أى أعمال أخرى ، وفى الحقـــيقة فإنـــه لم يتـــرجم على الإطلاق ، على الأقل إلى الإنجليزية . والسبب فى ذلك هو ، أنه لم تكن لديه حاجة إلى أن يترجم ، لأنه كان يكتب على مدار حياته بالإنجليزية ، لكن ليست الإنجليزية النموذجية.. ليســـت إنجليـــزية الخمســـينيات الـــتى ذهب النيجيريون إلى المدارس والجامعـــات كى يتعلموها.. إنها لغة كاتب نصف متعلم ، رجل ليس لديـــه أكثر من التعليم الإلزامى ، بصراحة يمكن فهمها كغريب، رتب للنشـــر بواسطة ناشرين إنجليز. وبينما كانت كتابة تيتولا غير أدبية ، تولـــوا هـــم تصـــحيحها ، كان مابدا نيجيريًّا بشكل جدير بالتصديق بالنسبة لهم، هو ما أحجم عن تصحيحه ، ذلك ما يقال ، ماكان يبدو فى آذانهم فاتنًا ، غريبًا ، فنًّا شعبيًّا.

" مما كنت أقوله حالاً"، استطرّد أجيدى: " يمكنكم أن تتخيلوا أننى أيضـــا لاأوافـــق على تيتولا أو على ظاهرة التيتولاتية.. إنها فى الحقيقة ليست كذلك . لم يجحد تيتولا بواسطة ما يدعى النيجيريون المتعلمون؛ لأنهـــم كانـــوا معوقين بواسطته – معوقين بما يمكن أن يكونونه معـــه كمواطـــنين، لا يعرفون كيف يكتبون لغة إنجليزية صحيحة.. لا ، أنا لســـت فى جانب تيتولا . يعتبر تيتولا – أو كان – حكاءً موهوبًا.. أنا ســـعيد أنك أعجبت بهذا الكتاب، كتبت عدة كتب أخرى بواسطته، صـــدرت فى إنجلترا ، رغم أنه لم ينجح أى منها ، كما قد أقول ، مثل "نخلة نبيد مسرف ". نعم، هو من نوع الكاتب الذى كنت أشير إليه،

كاتب شفاهي.. لقد أجبتك باستطراد ، لأن حالة تيتولا هي حالة مرشدة جدًّا.. ما يجعل تيتولا مبررا أنه لم يضبط لغته طبقًا للتوقعات – أو لما قد يمكن أن يفكروا فيه ، هل كان أقل بساطة ، مما تكلم، فكان عليه لذلك أن ينسحب بأسلوب خاص لاجدوى منه إلى كونه مجرد معبأ للغرب ، كإفريقى غريب معبأ .

" لكن ، سيداتى وسادتى ، من بين الكتاب الأفارقة ليس غريبا ؟ الحقيقة هى أن كل الأفارقة فى الغرب غرباء ، ذلك هو قدرنا .. حتى هنا على متن السفينة المبحرة باتجاه القارة القطبية، هم من ينبغى أن يكونوا الأكثر غربة من الجميع ، على طريقة من ليس له مواطنين عدا حيوان الفقظ الثدي البحرى والبطريق ، يمكننى أن أحس أننى غريب" .

تبزغ مويجة من ضحك ، يبتسم أجيدى ، ابتسامته الواسعة ، مضيفًا إياها إلى كل مظاهر العفوية.. لكنها لم تستطع أن تصدق أنها ابتسامة صادقة.. لايمكن أن تصدق أنها نابعة من القلب ، إذا كانت الابتسامات تنبع من هناك . أن يكون غريبًا فهو قدر ، عندئذ.. فإن قدره مرير . لم تستطع أن تصدق أن أجيدى لايعرف ذلك ، بل يعرفه ، ويثور ضده.. ذلك الوجه الأسود الوحيد فى هذا البحر الأبيض .

" لكن دعينى أعود إلى سؤالك ".. استطرد أجيدى " لقد قرأت تيتولا – لتقرئى الآن ابن بلدى بن أوكرى . يعتبر آموس تيتولا بسيطًا جدًّا ، حالة خاصة جدًّا . أوكرى ليس كذلك . يعتبر أوكرى وريثًا لتيتولا ، أو أنهما وريثان لأسلافنا المعتادين ، ولكن أوكرى يفاوض المتعارضات؛ كى يكون نفسه بين أناس آخرين (عذرًا للرطانة ، ولكن

هناك أوقاتًا يجب أن أظهر فيها أنه يمكننى أن أكون ناقدًا أدبيًا كذلك) بأسلوب أكثر تعقيدًا بكثير.. أقرأى أوكرى.. ستجدين تجربة مرشدة".

"كان مخططا " **للرواية فى إفريقيا** " ، مثل كل الأحاديث على سطح السفينة ، أن تكون أمرًا خفيفا.. لا يخطط لشيء أن يكون موضوعًا ثقيلاً فى برنامج سطح السفينة. ولسوء الحظ.. فإن أجيدى يهدد أن يكون ثقيلا.. يتدخل مدير التسلية ، ذلك الولد السويدى الطويل بزيه الأزرق الخفيف بإيماءة حذرة ، بإشارات من الذراعين ، فيطيع أجيدى بسهولة وتقدير ، منهيًا حديثه.

كان بحارة " نوثرن لايتس " من الروس مثل كل رجال الخدمة.. كان كل فرد، فى الحقيقة؛ خاصة الضباط ونخبة الإدارة من الروس.. تُعْزَفُ موسيقى سطح السفينة، من فرقة آلات عزف بلالايكا(شبيهة بالجيتار) ، تتكون من خمسة رجال وخمس نساء.. تكون موسيقى العشاء أكثر غرابةً بسبب من مذاقها ، وتصبح بعد العشاء ناعمة فى القاعة الكروية.

كانت قائدة الأوركسترا ، ومغنيتها الموسمية ، شقراء فى الثلاثينات.. كانت معرفتها السطحية بالإنجليزية، كافية كى تحقق النطق: " **نحن نعزف قطعة، تدعى فى روسيا صغيرى اللطيف** ".. صغيرها اللطيف المحب، تقفى مع دفيئة أكثر من حب.. كانت القطعة تبدو بعزفها المرتعش وانقضاضاتها كقطعة بحرية.. تبدو غجرية.. تبدو يهودية ، تبدو أى شيء ليس روسيًا. لكن من تكون اليزابيث كوستلو ، فتاة الريف ، كى تحكم؟

أجلسوها على مائدة مع زوج من مانشستر.. كان اسم كليهما مدرجًا ضمن الجماعة ، يناقشانها فى مقررها ، ويتطلعان قدما إليه.. إنهما لا يمثلان تمامًا فكرتها عن مانشستر.. الرجل طويل لحيم تبدو عليه معالم الصحة ، فضى اللون.. تفكر فيه كطائر "أطبش" بحرى، آكل للأسماك.. المرأة ضئيلة الحجم ، شهوانية.. ستيف وشيرلى.. تشك فى أنهما ليسا متزوجين .

بالنسبة إلى من يقوم بالترويح ، يجرى الحوار ليس عليها أو على كتبها، بل على تيارات المحيط ، التى يظهر أن ستيف يعرف كل ما يوجد هناك، مما يجب أن يعرفه ، وعن الكائنات الدقيقة ، التى يوجد أطنان منها خلال ميل مربع ، تتألف حياتها من كونها، دفعت بقوة فى زى جليل عبر تلك المياه المتجمدة ، آكلة ومأكولة، متكاثرة وميتة ، متجاهلة من التاريخ.. كان ستيف وشيرلى، يسميان نفسيهما سائحين فى علم الكائنات الحية وبيئتها.. كانا فى الآمازون العام الماضى ، وهذه السنة فى المحيط الجنوبى .

يقف أجيدى على طريق المدخل إلى قاعة الاستراحة، ناظرًا حوله ، بحثًا عن وجه مألوف، تلوح إليه فيجيء: " انضم إلينا " تقول: "إيمانويل.. شيرلى.. ستيف "

قاما بتهنئة إيمانويل على محاضرته . " كنت أفكر بينما كنت تتحدث " تقول شيرلى: " إن الكتاب المطبوع من المحتمل أنه ليس الوسيط المناسب لك . هل فكرت فى التأليف مباشرة على شريط تسجيل ؟

لماذا تصنع انعطافة حول الطبع؟ حتى لماذا تصنع انعطافة حول الكتابة ؟ احك قضيتك مباشرة "

" يالهـــا من فكرة بارعة ! " يقول "إيمانويل": "هى لن تحل المشكلة لكل إفريقيا ، لكن دعينى أمنحها بعضًا من فكر "

" لماذا لن تحل المشكلة فى إفريقيا ؟ "

" لأننى أخشى أن الإفريقيين سيريدون أكثر من مجرد أن يجلسوا فى هـــدوء؛ لينصتوا إلى شريط تسجيل يدور فى آلة صغيرة . يشبه ذلك كثيرًا حبًّا وإعجابًا أعمى.. يريد الأفارقة الحضور الحى ، الصوت الحى"

الصوت الحى.. يحل صمت كما لوأن ثلاثتهم يحاولون أن يتخيلوا ما يمكـــن أن يعنيه: " هل أنت واثق من ذلك؟ " تقول فارضة نفسها للمرة الأولى "لا يعترض الأفارقة على أن ينصتوا إلى المذياع . ليس للمذياع حضـــور حـــى . يبدو أن ما تطلبه ليس مجرد صوت بل أداء حركى.. ممـــثل حى أمامك ، يقدم نصك حركيًّا. إذا كان هذا ما تتطلبه ، فأنا أوافق ، لن يستطيع التسجيل أن يحل محله.. ولكن لم يكن أبدًا مزعومًا للـــرواية أن تكـــون مخططًا لأداء حركى.. صنعت الرواية منذ البداية فضيلة أنها غير قابلة لأن تؤدى حركيًّا. لا يمكنك أن تحصل على أداء حركـــى حى ، رخيص ، وسهل التوزيع.. ليس ذلك ممكنًا . إذا كان ذلـــك هـــو المطلـــوب من الرواية – حتى تكون كتلة ورق فى حجم الجيب، وأن تكون حية فى الوقت نفسه – فلن يكون للرواية مستقبل فى إفريقيا .

" بــلا مســتقبل "، يقــول أحــيدى بــتأمل: " إذًا ، ما إجابتك ياإليزابيث؟"

" إجــابتى عن ماذا ؟ ليس لدى إجابة.. بل لدى سؤال بديل . لماذا يــوجد كــثير جدًّا من روائيين إفريقيين حولنا ، ولم توجد بعد رواية إفريقية تستحق الحديث عنها ؟ يبدو لى أن ذلك هو السؤال الحقيقى، وقــد قدمت مفتاحا للإجابة بنفسك خلال حديثك.. غربة.. غربة.. إغواء ."

" غربة وإغواء ؟ خبرينا بما تعنين يا إليزابيث ؟ "

قــد يمكــنها أن تفعل ، إذا كان الأمر يتعلق بــ "إيمانويل" وحده ، ولكــن الأفضــل عند هذه النقطة، أن تبتعد.. كانت متعبة من ملاحظته الساخرة . لكن أمام غرباء ، أمام " زبائن " ، مازال لديهما حقل نشاط مشترك ، كى يحافظا عليه ، هى وهو كلاهما .

" الــرواية الإنجليزية " تقول: " مكتوبة فى المقام الأول بواسطة بشر إنجليز، ومن أجل بشر إنجليز. الرواية الروسية مكتوبة بواسطة روسيين، ومن أجل الروس . لكن الرواية الإفريقية ليست مكتوبة بواسطة أفارقة ومــن أجل أفارقة.. قد يكتب روائيون أفارقة عن إفريقيا ، عن تجربة إفــريقية ، ولكنهم يتلفتون وراء ظهورهم طوال الوقت، وهم يكتبون إلى الأجانــب الذين سيقرأونهم . سواء أكانوا يحبون ذلك أم لا ، فقد تقمصوا دور المفسر.. تفسير إفريقيا للعالم . كيف يمكنك أن تكتشف عالمًــا بكــل عمقه، إذا كان عليك فى الوقت نفسه أن تشرحه لمن فى الخارج.. إن ذلك مثل عالم يحاول أن يمنح كل اهتمامه الخلاق لبحث، بينما هو فى الوقت نفسه يشرح ما يفعله لفصل من الدارسين الجهلاء..

هـــذا كـــثير جدًّا بالنسبة لشخص واحد ، لايمكن إنجازه ، ليس على المستوى الأعمق . ذلك ، كما يبدو لى هو جذر مشكلتكم.. فى قيامك بأداء حى لإفريقيتك وأنت تكتب فى الوقت نفسه"

" هذا حسن جدًّا يا اليزابيث ! " يقول أجيدى: " أنت تفهمين فعلاً ، لقد عبرت عنها بشكل جيد ".. يمد يده، ويربت على ظهرها .

لو كنا وحدنا ، تفكر ، ربما كنت صفعته.

" إذا كان الأمرُ ، كما تقول ، إننى أفهمه.. فان ذلك يرجع فقط ، إلى أنـــنا مررنا فى أستراليا خلال المحاكمة نفسها، وعبرناها إلى طرفها الآخـــر.. لقذ أقلعنا فى الستينيات عن عادة الكتابة من أجل الغرباء ، حـــين نميـــنا قارئـــية أسترالية صحيحة ناضجة.. ليست الكتابية؛ لأنها موجـــودة فعـــلاً.. أقلعنا عنها حين قرر سوقنا ، سوقنا الأسترالى ، أنه يمكن أن يقدم دعمًا للأدب الوطنى النامى.. يبدو أن ذلك هو الدرس، ذلك ما يمكن لإفريقيا أن تتعلمه منا "

يظل "إيمانويل" صامتًا ، ولكنه يستمر مرتديًا ابتسامته التهكمية.

" أنـــا مهـــتم بالأسلوب الذى تتحدثين به، " يقول ستيف: " أنت تـــتحدثين كما لو أن الكتابة عملاً ، موضوعًا للأسواق.. كنت أتوقع شيئًا مختلفًا "

" أوه ، ما هو ؟ "

"أنت تعلمين : كيف تحصلين على الإلهام، وما إلى ذلك"

"إلهـــام".. إنـــه يعرض الآن الكلمة التى تثير الارتباك.. يوجد صمت أخرق آخر.

يتحدث "أيمانويل": " **سأعود أنا واليزابيث للوراء.. إن لدينا كثيرًا مما لا نتفق عليه فى الوقت الراهن، وذلك لا يبدل أشياءً بيننا – أليس كذلك يا اليزابيث ؟ نحن زميلان ، كاتبان رفيقان .. نحن ننتمى إلى أخوية الكتابة العظيمة ، الممتدة باتساع العالم**"

كان يتحداها ، محاولاً أن يحصل على انتفاضة منها أمام هذين الغريبين.. لكنها مجهدة جدًّا على أن تقبل التحدى.. لسنا كاتبين رفيقين، بل رفيقى تسلية . لماذا هما دون غيرهما على ظهر هذه السفينة الغالية ، "**يجعلان نفسيهما متاحين** " ، كما وضعتهما الدعوة بصراحة ، لأناس يضجروهما ، وهما قد بدآ يضجران ؟

لم يكن "إيمانويل" مرتاحًا ، يمكنها أن تشعر بذلك.. كان لديه كفاية منهم ، كان يريد فردًا جديدًا .

جاءت مغنيتهم إلى نهاية وصلتها.. يحدث تموج خفيف من تصفيق . تنحنى ، تنحنى مرة ثانية ، تلتقط آلة البلالايكا.. تفتتح الفرقة الموسيقية رقصة القوزاق.

ما يضايقها أكثر بالنسبة لإيمانويل ـــ وهو ما لم تبرزه بحسها الطيب أمام ستيف وشيرلى؛ لأنه سيكون فقط فعلاً غير لائق ـــ هو ذلك الأسلوب الذى يحول به كل عدم اتفاق إلى موضوع شخصى.. أما بالنسبة إلى محبوبته الرواية الشفهية ، فإنها تجد المبدأ ملتبسًا.. تشك فى أن "إيمانويل" وأصدقاءه فى مجال عمل الرواية الإفريقية يعرفون أيضا أنها ملتبسة ، ولكنهم سيستمرون فى ترويجها ، طالما أنها تخدم أغراضهم الخاصة . "**رواية حول بشر يعيشون فى ثقافة شفهية**" ، كانت تتمنى أن

تقـــول: "ليست رواية شفهية.. تمامًا مثل رواية حول امرأة ، لن تكون رواية امرأة". .

فى رأيهـــا ، أن كـــل حـــديث "إيمانويل" حول رواية شفهية.. رواية حافظـــت على لمسة مع الصوت الإنسانى، ومن ثم مع الجسم الإنسانى ، رواية ليست مجسدة مثل الرواية الغربية ، ولكنها تعبر عن الجسد وحقيقة الجســـد ، يكـــون مخططًـــا لها أن تدعم الغموض الإفريقى القديم كآخر مســـتودع لطاقات بشرية بدائية . يلوم "إيمانويل" ناشريه الغربيين وقراءه الغـــربيين لدفعه إلى إفريقيا غرائبية ، ولكن "إيمانويل" لديه رهانات على غرائبية نفسه.. لقد حدث أن عرفت أن "إيمانويل" لم يكتب كتابًا من أى مـــادة خلال عشر سنوات . حين قابلته لأول مرة، كان مازال يمكنه أن يدعو نفسه بشرف كاتبًا.. تعتمد حياته الآن على جولة المحاضرات. كتبه – إذا كانـــت ما تزال تطبع – فهى هناك كاعتماد ، لاأكثر . قد يكون رفـــيق تسلية ، ولكنه ليس رفيقًا كاتبًا ، لم يعد كذلك.. إنه فى جولة من أجـــل المـــال ، وجوائز أخرى أيضًا.. فيها الجنس ، للمثال . هو أسود وغـــريب ، وهو ممسوس بإمكانات الحياة ، وإذا لم يعد شابًا بعد ، فإنه يتـــزيى علـــى الأقل بسنوات امتيازه.. أى فتاة سويدية لن تكون خصمًا صعبًا؟

أنهت شرابها، تقول:" **سأنسحب** " " **أسعدتما مساء ستيف ، شيرلى . أراكما غدا . أسعدت مساء "إيمانويل".**

اســـتيقظت على سكون مطبق.. تشير الساعة إلى الرابعة والنصف . كانـــت ماكينات السفينة قد توقفت.. ألقت نظرة خاطفة عبر فتحة تطل علـــى الميناء، يوجد ضباب فى الخارج ، ولكن من لمحة خاطفة من خلال

الضـــباب رأت من بعيد أرضًا ليست أكبر من كيلومتر.. يجب أن تكون تلـــك هـــى جزيـــرة ماكيرى.. فكرت أنهم لن يصلوا إليها إلا بعد عدة ساعات.

تـــرتدى ملابسها ،تبرز فى الممر.. يفتح فى اللحظة نفسها باب كابينة رقـــم أ - ٢٣٠، تبرز المغنية الروسية.. كانت ترتدى ثوب سهرة الليلة الماضـــية نفسه، بلوزة حمرية اللون وبنطلون أسود واسع ، وتحمل حذاءها ذا الـــرقبة فى يـــدها . تبدو فى الضوء العليل أقرب إلى الأربعين منها إلى الثلاثين.. تقلب كل منهما عينيها ، وهى تعبر، فى الأخرى .

أ - ٢٣٠ هى كابينة أجيدى ، كانت تعرف ذلك .

تمضى فى طريقها إلى السطح العلوى . يوجد فعلا حفنة من المسافرين، يـــرتدون ملابس أنيقة ضد البرد ، وهم منحنون أمام درابزونات ، يمعنون منها النظر إلى أ سفل .

يجـــيش البحر تحتهم حيًا بما يمكن أن يكون سمكًا كبيرًا.. سمكًا أسود مصـــقول الجلد ، ذلك الذى يضرب برفق ويقفز ويهوى وسط الأمواج الطويلة.. لم تر مثل ذلك من قبل أبدا.

" البطـــريق " يقـــول الرجل الذى يجاورها . " **ملك البطريق، جاء لتحيتنا.. إنه لا يعرف من نكون** "

" **أوه** " تقول ، ثم "**إنها بريئة جدًا ؟ هل هى بريئة جدًا ؟** "

ينظر إليها الرجل بغرابة ، يستدير إلى مرافقه .

سيتوقفون فى جزيرة ماكيرى حتى الظهر ، وهو وقت كاف من أجل أولـــئك المسافرين، الذين يرغبون بشدة فى زيارة الجزيرة.. سجلت اسمها ضمن المجموعة الزائرة.

يغـــادر القـــارب الأول بعد الإفطار .. يكون الاقتراب من الإرساء صعبًا ، عبر صخرة ذات رفوف وعبر طبقات ضخمة من عشب البحر . وكـــان عليها فى النهاية أن تحصل على نصف مساعدة من أحد البحارة ، كى تنتقل إلى الشاطئ ، نصف محمولة ، كما لو كانت امرأة عجوز.. له عيـــنان زرقاوان وشعر أشقر . شعرت بقوة شبابه ، عبر ملابسه العازلة للمـــاء . تركب بين ذراعيه آمنة كطفل . **تقول له "شكرا لك !** "بامتنان وهـــو يترلهـــا ، لكن بالنسبة له لم يكن ذلك يعنى شيئًا، مجرد خدمة كان مدفـــوعًا له كى يقوم بها ،لا جانب شخصى فيها أكثر من خدمة ممرضة مستشفى .

لقـــد قـــرأت حول جزيرة ماكيرى.. اعتادت أن تكون مركز صناعة البطـــريق فى القرن الماضى.. مئات الآلاف من البطاريق ضربت هنا حتى المـــوت، ودفعـــت بقوة إلى غلايات بخار مصنوعة من حديد زهر ، حتى تحلـــل إلى زيـــت مفيد وبقايا لا قيمة لها، أو لم تضرب حتى الموت ، بل سيقت معًا فقط بعصيان إلى المعبر وعبر الحافة إلى مرجل يغلى .

يـــبدو من هبوطها أنها لم تتعلم شيئًا.. ما تزال تخرج سباحة ، لترحب بـــزوارها ، مـــا تزال تبعث إليهم صيحات تحية ، بينما هم يقتربون من مكـــان تتوالد فيه طيور الغدقان (" هو ! هو !" يصيحون ، لكل العالم مـــثل رجال صغار فظظة).. تسمح للزوار أن تقترب منها بما فيه الكفاية حتى يلمسوها ، وكى يمسدوا صدورها الملساء .

ستعيدهم القوارب ثانية فى العاشرة.. هم أحرار ، حتى ذلك الموعد ، فى أن يستكشـــفوا الجزيـــرة.. تـــوجد مستعمرة لطيور القطرس البحرية

الكـــبيرة على جانب التل ، يرحبون بتصوير الطيور ، ولكن يحذرون من الاقتراب الزائد منها ، حتى لا يقلقوها.. إنه موسم التناسل .

تـــتجول بعيدًا عن بقية المجموعة التى رست على الأرض ، تجد نفسها صـــدفة علـــى سهل واسع مرتفع فوق خط الشاطئ ، ماشية على طبقة واسعة من نجيل متلبد .

فجـــأة ، دون توقـــع ، يوجد شيء أمامها.. لوهلة ظنت أنه صخرة مرقشة ناعمة بيضاء مع لون رمادى . ثم رأت أنه طائر، أكبر من أى طائر سبق أن رأته من قبل.. تعرفت على المنقار الطويل العميق ، عظم الصدر الضخم.. إنه طائر القطرس .

ينظر طائر القطرس إليها بثبات ، ويبدو كمن يتسلى . مبرزًا من تحته نسخة فرخ أصغر له المنقار الطويل نفسه. يعتبر الفرخ أكثر عداءً.. يفتح منقاره ، يخرج صيحة تحذير طويلة خرساء .

هكذا ظلت هى والطائران ، يتفحص كل منهما الآخر .

قـــبل الخريف ، تفكر.. هكذا كانت قبل الخريف.. قد أفقد القارب وأبقى هنا.. يمكن لله أن يرعانى .

يـــوجد شخص وراءها.. تستدير، رأت المرأة الروسية ، مرتد ية الآن ســـترة فـــراء خضراء قاتمة بغطاء مفتوح للرأس، وشعرها مربوط بوشاح نسوى للعنق .

" طائـــر القطـــرس " أشـــارت للمرأة ، متحدثة بنعومة: " **تلك هى الكلمة الإنجليزية . أنا لا أدرى ماذا يسمون أنفسهم** "

تومئ المرأة.. يتطلع الطائر الضخم إليهما بهدوء ، لن يخاف من امرأتين أكثر من امرأة واحدة .

تسأل: " **أليس إيمانويل معك ؟** "

" **لا . بل على السفينة** "

" **أعــرف ، أنــك صديقة له** " تضغط عليها " **أنا أيضًا ، أو كنت كذلك . هل يمكن أن أسألك : ماذا ترين فيه؟** "

هــو سؤال غريب ، متجرئ ، بل حتى قاسٍ.. لكن يبدو لها أنه على هذه الجزيرة، فى زيارة لن تتكرر أبدًا ، يمكن أن يقال أى شيء.

تسأل المرأة : " **ماذا أرى ؟** "

" **نعم . ماذا ترين ؟ ما منبع السحر ؟ بماذا تعجبين فيه ؟** "

تهز المرأة كتفيها استهجانًا.. يمكنها الآن أن ترى أن شعرها مصبوغ . فى الأربعين من عمرها ، ومن المحتمل ذات يوم ، مع ارتباط أسرى يدعم عــودتها ثانية إلى الوطن ، أن تكون واحدة من أولئك الروس المقيمين مع جــدة مقعدة وزوج يشرب كثيرًا ويضربها ، تاركًا لها ابنا وابنة مع رأس حلــيق وأحمــر شفاه أرجوانى.. امرأة يمكن أن تغنى قليلاً ولكن باردة ، حالــيا فى واحد من هذه الأيام،أفضل من فيما بعد.. أن تكون فوق تل ، هى عازفة آلة بلالايكا للأجانب ، مغنية روسية ، ملتقطة بقشيش .

" **هو حر.. هل تتحدثين الروسية ؟ لا؟** "

تهز رأسها:

" **الألمانية؟** "

" قليلا ".

" **إنه كريم . إنسان طيب** " *

" **كـــريم– كـــريم**– منطوقة بتثقيل الكاف بالروسية.. هل "إيمانويل" كريم؟ هى لاتدرى. ليست الكلمة الأولى التى يمكن أن تتطرق إلى بالها..

" **كبير ، ربما . كبير بإيماءاته** "

" **لكن من الصعب الثقة به**" تلمح إلى المرأة.. سنوات منذ أن تحدثت تلك اللغة لآخر مرة.. هل كان ذلك ما تحد ثا به الليلة الماضية فى الفراش : اللغـــة الألمانية،لغة الإمبريالية الجديدة ؟ " **تصعب الثقة به** "، لن يكون محل ثقة : تأمل أن تكون قد فهمتها بشكل صحيح .

هز المرأة كتفيها استهجانا للمرة الثانية.

"**الوقت قصير. لا يستطيع الإنسان أن يحصل على كل شيء**".

تتوقف.

تتحدث المرأة ثانية:

"**كذلك الصوت.. إنه يجعل المرء**" تبحث عن الكلمة " **يرتجف**" .

"**يرتجف**".. **يرتجف**..

الصـــوت يجعـــل الفـــرد يرتجف، يعبر بين الاثنتين ما يشبه ربما بداية ابتسامة.

أمـــا بالنسبة للطائر.. فقد مكث هناك فترة طويلة كافية ، بحيث فقد أهميـــته.. فقـــط الفـــرخ ، وهو ينعم النظر إليهما من تحت أمه ، ما زال حذرًا..

---

*وردت هذه الكلمات المكتوبة بالخط الأندلسى فى النص باللغة الألمانية.

الصوت.. تتذكر السنة التى قابلت فيها إيمانويل أجيدى ، حين كانت شـــابة ، أو تقـــريبًا شابة ، حين نامت معه ثلاث ليال بنجاح " **الشاعر الشفهى** ".

قالـــت لــــه برقة. " **أرنى ما يستطيع أن يفعل شاعر شفهى** "، وقد بســـطها ونشـــرها، واضعًا شفتيه على أذنيها ، فتحهما ، تنفس فيهما ، وأراها .

هامشان :

(١) الاستشهاد من كتاب" باتجاه أدب إفريقى مستقل " :

فانويل. أ. اجحيرى

(Westport : Greenwood Press 1980) P P 87-88 .

(٢) الاستشـــهاد مـــن كتاب " روايات إفريقية وسؤال الشفاهية " :

آيلين جولين

(Bloomington : Indiana U. Press 1992) PP. 12- 13.

كتب للمترجم

أولا : النقد الأدبى : (١١ كتاباً)

	العنوان	الناشر	السنة
١-	"جارسيا ماركيز وأفول الدكتاتورية"	الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٨٨
٢-	"دراسات أدبية فى القصة والرواية"	الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية	١٩٨٩
٣-	"يوسف إدريس: الصراع والمواجهة"		
	(طبعة أولى)	الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية	١٩٩١
	(طبعة ثانية)	دار الوفاء بالإسكندرية	١٩٩٩
٤-	"الإبداع الأدبى: المصادر والمخاطر"		
	(طبعة أولى)	الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٩٥
	(طبعة ثانية)	مكتبة الأسرة	١٩٩٧
٥-	"فتحى غانم: الحياة والإبداع"		
	(طبعة أولى)	الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية	١٩٩٥
	(طبعة ثانية)	الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية	١٩٩٨
٦-	"رحلة الموت فى أدب نجيب محفوظ"	الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية	١٩٩٧
٧-	"نجيب محفوظ: سيرة ذاتية وأدبية"	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩٧
٨-	"مفهوم السلطة والدين: فى تجربة فتحى غانم الإبداعية"	مركز الإنماء الحضارى — حلب	١٩٩٩

٩-	"المثقف العربى المغترب"	الدار المصرية اللبنانية	١٩٩٩
١٠-	"نجيب محفوظ: رواية مجهولة وتجربة فريدة"	الدار المصرية اللبنانية	٢٠٠٢
١١-	"القصة القصيرة عند ثروت أباظة وقضايا المجتمع"	نادى القصة بالقاهرة	٢٠٠٢

ثانيا : الرواية : (٥روايات)

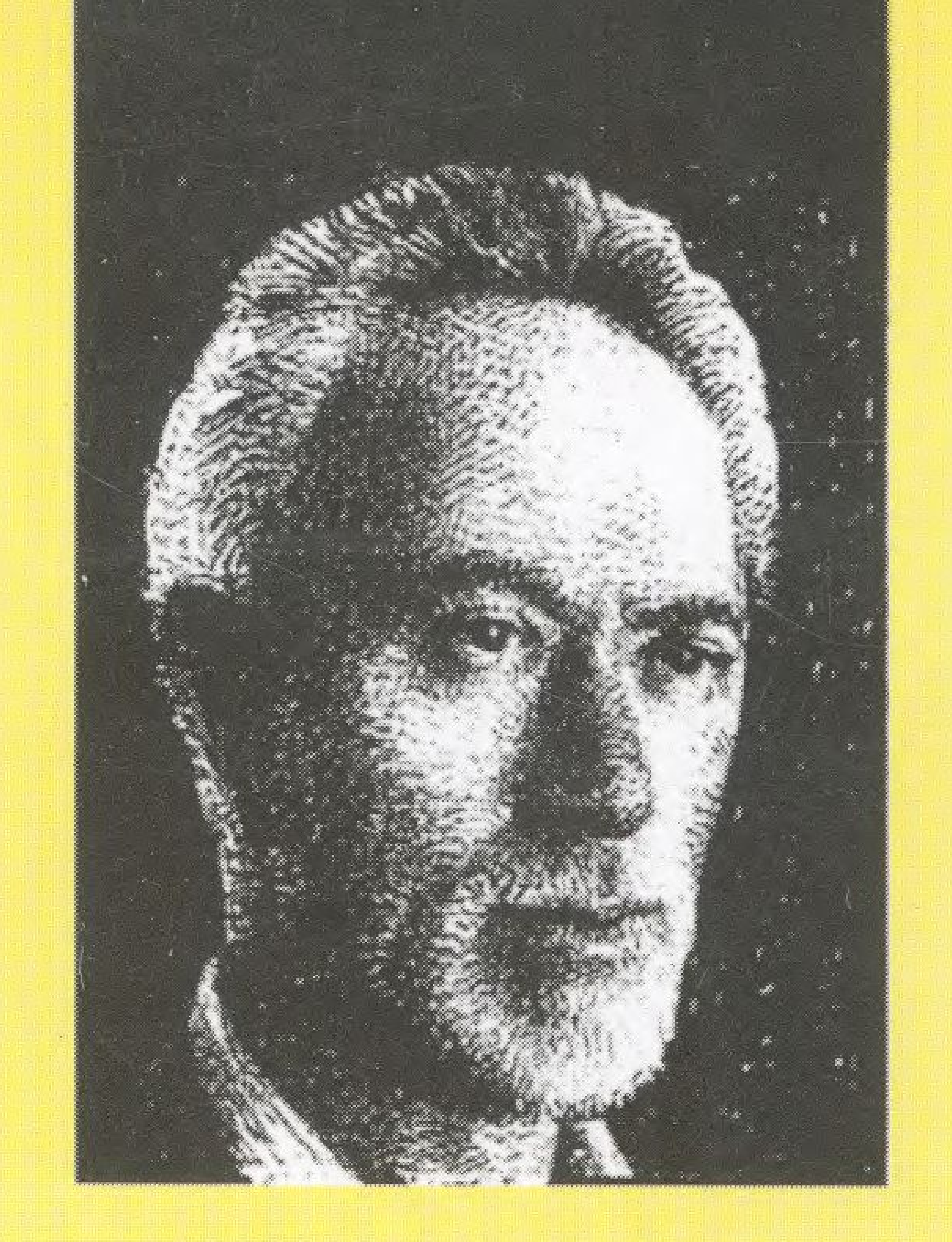
١-	"الهجرة نحو المدن القديمة"	المجلس الأعلى للثقافة	١٩٨٤
٢-	"المشروع"	دار الشئون الثقافية – بغداد	١٩٨٧
٣-	"مذكرات حكمت فهمى"	دار الحرية	١٩٩٠
٤-	"عين النمس"	دارة الإنماء الحضارى – حلب	١٩٩٧
٥-	"عصافير صغيرة زرقاء"	دار شرقيات – القاهرة	٢٠٠٠

ثالثا : القصة القصيرة : (٢ مجموعة قصصية)

١-	"قطار الحادية عشرة"	دار المعارف	١٩٨٣
٢-	"لو تظهر الشمس"	الهيئة المصرية العامة للكتاب	١٩٨٥

رابعا : الترجمة : ١(كتاب)

١-	"ذلك العالم المدهش: حوارات مع كتاب عالميين"	الهيئة العامة لقصور الثقافة	٢٠٠٢



■ ج. م. كويتـزي ■

هو من مواليد عام 1940 بمدينة كيب تاون بجنوب إفريقيا .
أرسله والداه إلى مدرسة إنجليزية ؛ لذا فإنه يستخدم اللغة الإنجليزية كلغة أولى أنهى رسالة الدكتوراه فى الأدب حول بيكيت عام 1969 ، بجامعة تكساس بأوستن بالولايات المتحدة ،
وعمل بعد ذلك أستاذًا للأدب فى عدد من الجامعات .
بدأ ينشر أعماله بدءًا من عام 1974 ، حيث صدر له أول كتاب بعنوان (أرض منعزلة) ثم توالت رواياته بعد ذلك .
كان أول من نال جائزة البوكر مرتين ، عن (حياة وأزمنة مايكل ك) 1983، و(خزى) 1999 .
يعتبر نص (الرواية فى إفريقيا) 1998 نصًا فريدًا ؛ حيث يقدم فى شكل قصصى ممتع رؤية نقدية جديدة !




6 222006 301705

الدار المصرية اللبنانية

تصميم: محمد حجي